الدلالة الصوتية للمد الفرعي والغنة في ضوء السياق القرآني: جزء (تبارك) نموذجاً (دراسة وصفية تحليلية)

إعداد

د. محمد كمال محمد جاد

مدرس النحو والصرف والعروض بقسم اللغة العربية

كلية الآداب- جامعة المنوفية

الملخص

تساعد الإطالة الزمنية في تلاوة بعض المواضع من الآيات القرآنية بفعل المد الفرعي وشيوع الغنة على إيضاح المضامين القرآنية في سياقاتها المختلفة، كما أنها تساعد على تصوير المعنى وتجسيده وتمثيله، ويهدف هذا البحث إلى استجلاء هذه الدلالة الصوتية تطبيقًا على السور الكريمة للجزء التاسع والعشرين من القرآن الكريم (جزء تبارك)؛ وذلك باستنطاق الآيات القرآنية التي وردت فيها هذه الظاهرة الصوتية؛ لمعرفة دلالاتها وفق سياقاتها اللغوية الداخلية والمقامية الخارجية، والمعنى العام الذي تدور حوله الآيات الكريمة.

ومن أهم نتائج هذا البحث تناسب المد الفرعي والغنة مع السياقات التي يردان فيها، وتمايز هذه السياقات عن غيرها من السياقات القرآنية، وتم تصنيف هذه السياقات والدلالات في أطر رئيسة يندرج تحتها مجموعة من الدلالات الفرعية، وهي: سياق خطاب الكافرين، ويندرج تحته: التخويف والتهديد والوعيد بالعذاب، وتقريع الكافرين وتوبيخهم وذمهم، ووصف النار وعذاب أهل النار، والمباغتة بالعذاب، والدفاع عن رسول الله ﷺ ضد تهمهم، وإطعام أهل النار من عصارة أهل النار، واستعجال العذاب والإلحاح به، وإبطال مطامع الكافرين في الجنة، وبيان تماديهم في الإعراض والكفر، ودحض شبهتهم في عدم البعث والاحتجاج بالنشأة الأولى، وسياق الحديث عن أهوال يوم القيامة، وسياق الحديث عن الأحداث الجسام، وسياق الابتلاء، ويندرج تحته: شدة الابتلاء، وإظهار الحسرة والندم، والتضرع إلى الله بصرف الابتلاء، وسوق الرحمة بعد الابتلاء، وسياق التأكيد على صدق الرسالة والنبوة، وسياق المدح بصفة المداومة والاستمرار على أعمال البر، ومناسبة الإطالة الزمنية لطول الحدث في الواقع، كما في حركة صف الطيور (بسط الأجنحة)، وطول دعوة سيدنا نوح لقومه، وطول تماديهم في الضلال، وحرص النبي على إطالة قيام الليل، وسياق تأكيد عظمة الله -عز وجل- بذكر مظاهرها.

الكلمات المفتاحية: الدلالة الصوتية السياقية، الصوت والدلالة، المد الفرعي والغنة، الإعجاز القرآني الصوتي.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصَّلاة والسَّلام على المبعوث رحمةً للعالمين، سيد الأولين والآخرين، نبينا محمد ﷺ وعلى آله أجمعين، ورضي الله –تعالى– عن أصحابه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أمَّا بعد فالقرآن الكريم هو المعجزة الخالدة، يقول الله –تعالى–: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحِجْر : ٩] ، وسيظل الذكر الحكيم يخاطب الناس في كل زمان وفي كل مكان، وستبقى تلاوته رحمة وهداية إلى يوم الدين، يقول–تعالى–: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٥١﴾ [العَنكَبُوت : ٥١]، وقد عُني علماء العربية ببيان وجوه إعجاز القرآن الكريم(١)، وقد تنوعت وجوه إعجاز القرآن الكريم تنوعًا كبيرًا؛ فشملت إعجازه في بلاغته وفصاحته، وإعجازه في نظمه وأسلوبه، وإعجازه في إخباره بالغيوب المستقبلة، وإعجازه في إخباره عن القرون السابقة والأمم البائدة، وإعجازه النفسي، وإعجازه في هديه وتشريعه، وإعجازه العلمي، وإعجازه بكونه محفوظًا من الزيادة والنقصان على مر الدهور والأزمان، وتيسير حفظه، وشموله على جميع البراهين والأدلة على توحيد الألوهية والربوبية(٢).

ومن وجوه إعجاز القرآن الكريم (الجمال التوقيعي في توزيع حركاته وسكناته، ومداته وغُنَّاته)(٣)، يقول الدكتور محمد دراز: "دع القارئ المجود يقرأ القرآن يرتله حق ترتيله نازلًا بنفسه على هوى القرآن، وليس نازلًا بالقرآن على هوى نفسه، ثم انتبذ منه مكانًا قصيًّا لا تسمع فيه جرس حروفه، ولكن تسمع حركاتها وسكناتها، ومداتها وغناتها، واتصالاتها وسكتاتها، ثم ألق سمعك إلى هذه المجموعة الصوتية،

---

(١) أُلِّفت في ذلك المؤلفات العظيمة الجليلة، ومنها: رسالة النكت في إعجاز القرآن للرماني (ت٣٨٦هـ)، ورسالة بيان إعجاز القرآن للخطابي (ت٣٨٨)، وإعجاز القرآن للباقلاني (ت٤٠٣هـ)، ودلائل الإعجاز والرسالة الشافية في إعجاز القرآن لعبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ)، ونهاية الإيجاز في دراية الإعجاز للرازي (ت ٦٠٤هـ)، والبرهان في علوم القرآن للزركشي (ت ٧٩٤هـ)، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (ت٨٨٥هـ)، ومعترك الأقران في إعجاز القرآن للسيوطي (ت٩١١هـ)، ومن المؤلفات التي تناولت إعجاز القرآن في العصر الحديث: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية للرافعي، والإعجاز البياني للقرآن للدكتورة عائشة عبد الرحمن، والمعجزة الكبرى للشيخ محمد أبو زهرة، والنبأ العظيم للشيخ محمد عبد الله دراز.

(٢) ينظر: عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، د. محمد السيد راضي جبريل، ندوة: عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه، نشره مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٢١هـ.

(٣) النبأ العظيم، نظرات جديدة في القرآن الكريم، للشيخ محمد بن عبد الله دراز (ت ١٣٧٧هـ)، اعتنى به: أحمد مصطفى فضلية، قدم له: أ. د. عبد العظيم إبراهيم المطعني، دار القلم للنشر والتوزيع، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م، ص١٣٣.

وقد جردت تجريدًا ... فستجد نفسك منها بإزاء لحن غريب عجيب لا تجده في كلام آخر لو جُرِّد هذا التجريد، وجُوِّد هذا التجويد... وستجد شيئًا آخر لا تجده في الموسيقى ولا في الشعر، ذلك أنك تسمع القصيدة من الشعر فإذا هي تتحد الأوزان فيها بيتًا بيتًا، وشطرًا شطرًا، وتسمع القطعة من الموسيقى فإذا هي تتشابه أهواؤها وتذهب مذهبًا متقاربًا، فلا يلبث سمعك أن يمجها، وطبعك أن يملها، إذا أعيدت وكررت عليك بتوقيع واحد، بينما أنت من القرآن أبدًا في لحن متنوع متجدد، تنتقل فيه بين أسباب وأوتاد وفواصل على أوضاع مختلفة، يأخذ منها كل وتر من أوتار قلبك بنصيب سواء، فلا يعروك منه على كثرة ترداده ملالة ولا سأم، بل لا تفتأ تطلب منه المزيد، هذا الجمال التوقيعي في لغة القرآن لا يخفى على أحد ممن يسمع القرآن، حتى الذين لا يعرفون لغة العرب، فكيف يخفى على العرب أنفسهم؟[١]".

ويرى الدكتور محمد المبارك أن" النظم القرآني بالجملة نظم يبدو فيه الجمال الموسيقي أو حلاوة النغمة، وليست القضية أبدًا قضية نثر مسجوع؛ إذ شتان بين السجع والموسيقى، فموسيقى القرآن داخلية تتخلل الكلام كله، وتنتظم جميع أجزائه، كلماته وحروفه، مع مراعاة التناسب بين نوع النغمة وصفاتها، والفكرة أو الموضوع أو المشهد الذي تعبر عنه الآيات ... ولو قرأت حتى آيات التشريع والأحكام لوجدتها متصفة بهذه الخاصة الموسيقية، ولعل جمال النغمة هو السبب في العدول في كثير من الآيات عن طرائق التركيب والتأليف المعتادة إلى صياغة خاصة في الكلام[٢]".

ولا شك أن من أهم مصادر الجمال التوقيعي في القرآن الكريم إطالة زمن النطق بالصوت إطالة زائدة عن المعهود المألوف في الكلام، وهو ما يحدث في القرآن الكريم عن طريق المد الفرعي الزائد عن المد الطبيعي المعتاد في القرآن وغير القرآن[٣]، وكذلك تحدثه الغنة، وهي صوت لطيف يخرج من الخيشوم، وهو صفة ملازمة لحرفي النون والميم، وتظهر الغنة (بمقدار حركتين) في النون والميم المشددتين، وفي حالات الإدغام الناقص، والإخفاء، والإقلاب.

---

(١) النبأ العظيم، نظرات جديدة في القرآن الكريم، ص١٣٣.

(٢) دراسات أدبية لنصوص من القرآن، محمد المبارك، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت–لبنان، الطبعة الخامسة، ١٤١٩هـ– ١٩٩٨م، ص ١٥٦–١٥٧.

(٣) يقول إبراهيم أنيس: "وأصوات اللين في العربية قد يزداد طولها ضعفًا أو ضعفين حين يليها همزة أو صوت مدغم... وقد عني القراء بهذه الإطالة عناية كبيرة... وهذا النوع من الإطالة لا يُراعى إلا في القراءات القرآنية، فلا يكون في الشعر العربي، ويندر أن يقع في النثر". الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الخامسة، ١٩٧٥م، ص ١٥٨.

ويؤصل الرافعي لنظرية الإعجاز الصوتي التعبيري في القرآن، فيوضح أن: "مادة الصوت هي مظهر الانفعال النفسي، وأن هذا الانفعال بطبيعته إنما هو سبب في تنويع الصوت، بما يخرجه فيه مدًّا أو غنةً أو لينًا أو شدةً، وبما يهيئ له من الحركات المختلفة في اضطرابه وتتابعه على مقادير تناسب ما في النفس من أصولها؛ ثم هو يجعل الصوت إلى الإيجاز والاجتماع؛ أو الإطناب والبسط؛ بمقدار ما يكسبه من الحدوة والارتفاع والاهتزاز وبعد المدى ونحوها، مما هو بلاغة الصوت في لغة الموسيقى. فلو اعتبرنا ذلك في تلاوة القرآن على طرق الأداء الصحيحة لرأيناه أبلغ ما تبلغ إليه اللغات كلها في هز الشعور واستثارته من أعماق النفس؛ وهو من هذه الجهة يغلب بنظمه على كل طبع عربي أو أعجمي، حتى إن القاسية قلوبهم من أهل الزيغ والإلحاد، ومن لا يعرفون لله آية في الآفاق ولا في أنفسهم؛ لتلين قلوبهم وتهتز عند سماعه؛ لأن فيهم طبيعة إنسانية، ولأن تتابع الأصوات على نسب معينة بين مخارج الأحرف المختلفة، هو بلاغة اللغة الطبيعية التي خُلقت في نفس الإنسان، فهو متى سمعها لم يصرفه عنها صارف من اختلاف العقل أو اختلاف اللسان؛ وعلى هذا وحده يؤوَّل الأثر الوارد أن في الصوت الحسن يزيد القرآن حسنًا؛ لأنه يجنب هذا الكمال اللغوي ما يُعدُّ نقصًا منه إذا لم تجتمع أسباب الأداء في أصوات الحروف ومخارجها، وإنما التمامُ الجامع لهذه الأسباب صفاء الصوت، وتنوع طبقته، واستقامة وزنه على كل حرف[١]".

ويقول الرافعي موضحًا انفراد القرآن بالإعجاز الصوتي:" ومما انفرد به القرآن وباين سائر الكلام، أنه لا يخلق على كثرة الرد وطول التكرار، ولا تمل منه الإعادة؛ وكلما أخذت فيه على وجه الصحيح فلم تخل بأدائه، رأيته غضًّا طريًّا، وجديدًا مونقًا، وصادفت من نفسك له نشاطًا مستأنفًا وحسًّا موفورًا، وهذا أمر يستوي في أصله العالم الذي يتذوق الحروف ويستمري تركيبها ويُمعن في لذة نفسه من ذلك، والجاهل الذي يقرأ ولا يثبت معه من الكلام إلا أصوات الحروف، وإلا ما يميزه من أجراسها على مقدار ما يكون من صفاء حسه ورقة نفسه، وهو لعَمر الله أمر يوسعُ فكر العاقل ويملأ صدر المفكر، ولا نرى جهة تعليله ولا نصحح منه تفسيرًا إلا ما قدمنا من إعجاز النظم بخصائصه الموسيقية، وتساوُق هذه الحروف على أصول مضبوطة من بلاغة النغم، بالهمس والجهر والقلقلة والصفير والمد والغنة ونحوها، ثم اختلاف ذلك في الآيات بسطًا وإيجازًا، وابتداء وردًّا، وإفرادًا وتكريرًا[٢]".

---

(١) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثامنة، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٥م، ص١٤٩– ١٥٠.

(٢) المرجع السابق، ص١٥٠–١٥١.

❖ **أهداف الدراسة:**

يهدف هذا البحث إلى استجلاء الدلالة الصوتية للمد الفرعي والغنة في ضوء السياق القرآني من جزء تبارك، وذلك باستنطاق الآيات القرآنية التي وردت فيها هذه الظاهرة الصوتية؛ لمعرفة دلالاتها وفق سياقاتها اللغوية الداخلية والمقامية الخارجية، والفكرة التي تتناولها الآيات القرآنية، مع الحرص على تجنب الربط القسري بين طبيعة الصوت والمعنى؛ لأن ذلك لا يكون ناتجًا إلا عن النظرة الذاتية وتحكيم الإحساس الشخصي.

❖ **فرضية الدراسة:**

تفترض الدراسة أن الإطالة الزمنية في تلاوة بعض الآيات القرآنية بفعل المد الفرعي والغنة تساعد على إيضاح المضامين القرآنية في سياقاتها المختلفة، وتؤجج المشاعر والعواطف تجاه قضية معينة بطرق متنوعة، فهذه الإطالة الزمنية تساعد على تصوير المعنى وتجسيده وتوضيحه، وكذلك تفترض الدراسة أن هذه المواضع تنفرد بدلالات معينة أو تستقل بسياقات محددة في القرآن الكريم، فالإطالة الصوتية الناتجة عن هاتين الظاهرتين الصوتيتين تتناسب مع دلالات دون غيرها.

❖ **أسئلة الدراسة:** تتمثل أسئلة هذه الدراسة في سؤالين رئيسين، وهما:

- هل تتمايز السياقات التي يظهر فيها المد الفرعي والغنة عن السياقات التي يغيبان فيها؟
- ما السياقات التي يكثر فيها ورود المد الفرعي والغنة في جزء تبارك؟

❖ **منهج الدراسة:**

اتبعت في هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي، فحصرت مواضع المد الفرعي والغنة في جزء تبارك (باعتبار قراءة حفص عن عاصم، وباعتبار الوقوف على رءوس الآيات)، مع استبعاد المد في آخر الآيات، ثم تأملت في سياقات هذه المواضع، والدلالات المستفادة منها، وقارنت بينها وبين المواضع التي يقل فيها ورود المد الفرعي والغنة أو يغيبان تمامًا.

❖ **الدراسات السابقة:**

لا توجد دراسة تربط بين هذه الظاهرة الصوتية ودلالاتها وسياقاتها القرآنية الفريدة بالبحث والدراسة، وذلك في حدود علمي واطلاعي، ومن الدراسات التي درست الإيقاع في القرآن الكريم وجمالياته:

- **البنية الإيقاعية وجماليتها في القرآن، محمد حرير، مجلة التراث العربي، المجلد ٢٥، العددان ٩٩،١٠٠، عام ٢٠٠٥م، ٣١٦-٣٤٢**

قام الباحث بدراسة مصطلح الإيقاع وإشكالية مفهومه، والبنية الإيقاعية في القرآن، وعناصر الإيقاع في الخطاب القرآني، وقد أورد الباحث مقطعين قرآنيين، وقام بحصر الأصوات المكررة، وتكرار المدود في الفاصلة القرآنية، ثم تعرض الباحث للحروف المقطعة بوصفها تمثل كل الظواهر الصوتية الموجود في اللسان العربي المبين وبوصفها بيانات موسيقية يتبعها المرتلون، ثم تناول الباحث إيقاع اللفظة ومقاطعها الصوتية في التعبير عن المعنى، ثم تناول أثر الجمل المسجوعة المتوازية في القصر، والجمل المتوازية في الطول والمرسلة في غير ما فواصل، والإيقاعية بتكرار العبارة القرآنية، ثم عرض الباحث ما عنونه بالمعمارية الإيقاعية للنص القرآني، وقد طبق هذا النهج على سورة العاديات، ثم تحدث عن خصوصية الإيقاع في الخطاب القرآني.

- **جماليات الإيقاع الصوتي في القرآن الكريم، محمد الصغير ميسة، ماجستير، قسم الآداب واللغة العربية، كلية الآداب واللغة العربية، جامعة محمد خيضر –بسكرة–، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، ٢٠١٢م.**

تناول الباحث مفهوم الجمال والجمالية، والإيقاع والصوت، والفاصلة في القرآن، والترادف والتكرار في الفاصلة القرآنية، ثم تناول الجوانب الجمالية في الفاصلة القرآنية، من خلال بيان جمالية الفاصلة من الناحية الصوتية، وجمالية الفاصلة من الناحية الدلالية، وجمالية التناسب من حيث تناسب العلاقات، وكذلك درس الباحث جمالية الصوت القرآني من خلال دراسة العدول الصوتي بتغيير الحركة، والعدول بالإبدال، والعدول بالإدغام وفكه، والعدول بالحذف والزيادة، والتناسق الفني في التصوير القرآني، وأهمية المقاطع الصوتية في تناسب الأصوات. ومن أهم نتائج هذه الدراسة أن الإيقاع القرآني يضفي على شكل الآيات والسور مسحة من الجمال والمتعة تتناسب مع المعاني الربانية

المعجزة، وأن الإيقاع في الفواصل القرآنية يعد تابعًا للأسلوب القرآني، ومظهرًا من مظاهر الإعجاز فيه، وأن الفاصلة القرآنية ترتبط بالمعنى والإيقاع معًا؛ إذ تتفق مع مضمون الآية دلاليًّا، وتتفق مع الإيقاع العام للآيات السابقة واللاحقة صوتيًّا، وأنها تكسب السورة إيقاعًا متميزًا، وتراعي المعنى والسياق والجرس وجو السورة، وكل ما يتعلق بجودة التعبير وجماليته، وأن التكرار في القرآن يؤدي دورًا موسيقيًّا ودلاليًّا في آن واحد، وأنها تضفي على السور معاني وأبعادًا جديدة، كما أوضحت الدراسة أن للعدول الصوتي دورًا كبيرًا في تحقيق الأثر الجمالي والأثر الدلالي؛ بغية تصوير المواقف في شكل محكم رصين، وأن المقاطع الصوتية مصدر مهم من مصادر الإيقاع القرآني؛ لأنه يقوم على مبدأ التناسب الذي يسمح بترتيل آيات القرآن الكريم بأنغام رقيقة عذبة، وأن حروف المد واللين مع النون تخلق جوًّا من الإطراب والمتعة، بفضل ما تحدثه من نغم موسيقي جميل يهفو له القلب، ويستلذه السمع.

- **البعد التصويري والإيحائي للإيقاع الصوتي: النص القرآني أنموذجًا، د. عازة عبد العزيز محمد عبد السند، المجلة العلمية بكلية اللغة العربية بأسيوط- جامعة الأزهر، العدد الخامس والثلاثون، الجزء الثاني، ٢٠١٦م.**

ألقت الباحثة الضوء في مقدمة هذا البحث على طبيعة الخطاب القرآني التي اقتضت مناسبته لكل العصور وتفرده بسمات صوتية ميزته عن نصوص الشعر والنثر، وأوضحت الباحثة في التمهيد المؤثرات الداخلية والخارجية في الأصوات ودلالاتها والتي تنبع أحيانًا من الطبيعة التشكيلية للصوت، بوصفه المادة الأولية للألفاظ، وأحيانًا من العوامل الخارجية التي تتمثل في ناطق الصوت ومتلقيه، وتحدثت الباحثة أيضًا عن التآلف العجيب والمعجز للنص القرآني من حيث بنائه النصي والدلالي الذي عكس صورة عن قدرة إعجازية لا يناظرها نص آخر في القدرة التصويرية والإيحائية، وعرف الإيقاع في اللغة والاصطلاح، مع بيان أهم مستوياته.

وفي المبحث الأول تناول البحث القوة الإيحائية للإيقاع الصوتي، وفي هذا المبحث تناولت الباحثة دلالة صوتي الطاء والميم في قوله -تعالى-:﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلۡكُبۡرَىٰ ٣٤﴾ [النَّازِعَات : ٣٤]، وإيحاء صوت الهمزة بمعنى الشدة في قوله - تعالى-: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّآ أَرۡسَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمۡ أَزّٗا ٨٣﴾ [مَرْيَم : ٨٣]، وإيحاء صوت الهاء بالتلطف والتحنن في قوله -تعالى-: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ٢٥﴾ [مَرْيَم : ٢٥]، وإيحاء أصوات الإطباق والتفخيم (الصاد) والشدة (الكاف)، بشدة الضرب في قوله -تعالى-: ﴿فَصَكَّتۡ وَجۡهَهَا وَقَالَتۡ عَجُوزٌ عَقِيمٞ ٢٩﴾ [الذَّارِيَات

: ٢٩]، وتناول في المبحث الثاني تماثل الأصوات وأثره في إيحائية الإيقاع، فتناولت الباحثة أثر المماثلة التجاورية في قوله –تعالى–: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا﴾ [فَاطِر : ٣٧]، وقوله –تعالى–: ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾﴾ [القَمَر : ٥٣]، والتماثل الصوتي من خلال تكرار صوت السين، في قوله –تعالى–: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾﴾ [التَّكْوِير : ١٥ - ١٩]، والتماثل الصوتي من خلال الإدغام، وفي المبحث الثالث تناول البحث مظاهر الإيقاع في النص القرآني، وفيها عرضت الباحثة دور الفاصلة القرآنية والتكرار ومد الصوت وتطويله واستعمال الصيغة الصوتية الواحدة، ودلالة الصدى الحالم كما في لفظ الرحمة، في تحقيق الإيقاعية القرآنية.

ولم تتحدث هذه الدراسة عن دور مد الصوت وتطويله في تحقيق الإيقاعية القرآنية إلا في صفحتين اثنتين أشارت فيها الباحثة إلى دلالة المد في ألفاظ (الحاقة والطامة والصاخة)؛ إذ طابقت الشدة الصوتية الشدة الدلالية بين الصوت والمعنى الحقيقي .

- **النغم الصوتي والإيقاع الموسيقي في سورة العاديات، أ. د. حازم ذنون إسماعيل، د. ياسين محمد فيصل، مجلة كلية الإمام الأعظم الجامعة، العدد السابع والعشرون، الجزء الثاني، ٢٠١٩م**

تحاول هذه الدراسة الوقوف على مكامن الجمال الصوتي في سورة العاديات مربوطًا بالدلالة معبرًا عن نوع من أنواع التماسك النصي، وأوضحت هذه الدراسة أن في سورة العاديات تصويرًا صوتيًّا موازيًا ومقاربًا للتصوير التعبيري لوصف الخيل في إغارتها، وذلك في الآيات الثلاث الأولى، وأن التكرار في نهاية فواصل الآيات بصوت انفجاري جهوري يعطيها مدًّا في الصوت، وأن الربط بصوت الفاء، وهو من الأصوات الذلقية المتصفة بالسلاسة والخفة على اللسان، ينسجم مع حركة الخيل وإغارتها بانسيابية وانطلاق لما اعتادت عليه، وتميز سياق السورة بالسرعة والإثارة والعنف، واتسم الإيقاع الموسيقي بالدمدمة والخشونة والفرقعة.

وأبرزت الدراسة أن المشهد الأول من هذه السورة الكريمة يتسم بتنوع المقاطع الصوتية، فالمقطع القصير المغلق في بداية السورة يشير إلى استعداد الخيل للانطلاق؛ ومن ثم ينفتح المقطع في الجزء الثاني؛ ليدل على انطلاق الخيل من دون توقف، ثم يأتي بعده مقطع قصير يدل على قرب المسافة بين الخيل المغيرة وتقاربها فيما بينها، فضلًا عن الانفتاح والإسراع. ويأتي القسم الثاني للسورة فيختلف جرس الفاصلة عن القسم الأول، فحرف الفاصلة فيه هو الدال المسبوق بالواو أو الياء، ووحدة حرف

الفاصلة يؤدي إلى وحدة النغمة، والدال حرف شديد مجهور من حروف القلقة، وينسجم حرف الدال مع اختلاف المعنى، فقد تحدثت هذه الآيات الثلاثة عن كفر الإنسان وجحوده وحبه الشديد للمال، ولهذه الألفاظ الإيحائية بأصواتها أثر لشد انتباه المتلقي؛ لما في تلك الأصوات من قيمة موسيقية، والصوت داخل المفردة يُوحي بدلالات لها أثر في إحداث الإيقاع؛ مما يخلق شيئًا من الترابط بين النص- المتلقي، وفي القسم الثالث من السورة كان حرف الفاصلة (الراء)، وتعني المغايرة في الفاصلة انتهاء تصوير المقسم له، ويكشف التنغيم عن خروج الاستفهام عن معناه الحقيقي إلى معنى التعجب والتقرير، وكذلك فإن النغمات في فواصل الآيات هي جمل موسيقية زادت الآيات حسنًا، وتنوع الفواصل في السورة ما هو إلا صور تامة للأبعاد التي تنتهي بها.

- **الإيقاع الصوتي في القرآن الكريم: سورتا الليل والفجر نموذجًا، د. فاتن محمد محمد علي، مجلة كلية الآداب بقنا- جامعة جنوب الوادي، المجلد ٣٣، العدد ٦٣، أبريل ٢٠٢٤م**

تُعنى هذه الدراسة الصوتية بتناول جانب من إعجاز القرآن الكريم، انفرد به نص القرآن الكريم عن سائر الكتب السماوية، ذلك الجانب المتعلق بالإيقاع الصوتي للآيات القرآنية؛ وذلك برصد فواصل الآيات وتحليل أصوات حروفها وترتيبها، وتناول البحث في مدخله النظري تعريف الفواصل وأهميتها وتقسيمها المقطعي، ثم تناولت الدراسة التطبيقية مظاهر الإيقاع في سورة الليل، من خلال دراسة الفواصل في هذه السورة، والأصوات المجهورة والمهموسة، ثم درست الباحثة سورة الفجر بتقسيمها إلى مشاهد متعاقبة؛ مما أظهر تنوع الفواصل وتنوع الأصوات في نهاية كل آية لمناسبة معنى الآية.

❖ **خطة البحث:**

ينقسم البحث إلى مقدمة وتمهيد وأحد عشر مبحثًا، وتتناول المقدمة أهداف الدراسة وفرضيتها وأسئلتها ومنهجها والدراسات السابقة التي تتماس مع الموضوع، وخطة البحث، ويتناول التمهيد التعريف بالدلالة الصوتية، وبيان الطبيعة الصوتية للمد الفرعي، والغنة، ثم تأتي الدراسة التطبيقية في أحد عشر مبحثًا بعدد سور جزء تبارك، وذلك على النحو التالي:

المبحث الأول: الدلالة الصوتية السياقية للمد الفرعي والغنة في سورة الملك.

المبحث الثاني: الدلالة الصوتية السياقية للمد الفرعي والغنة في سورة القلم.

المبحث الثالث: الدلالة الصوتية السياقية للمد الفرعي والغنة في سورة الحاقة.

المبحث الرابع: الدلالة الصوتية السياقية للمد الفرعي والغنة في سورة المعارج.

المبحث الخامس: الدلالة الصوتية السياقية للمد الفرعي والغنة في سورة نوح.

المبحث السادس: الدلالة الصوتية السياقية للمد الفرعي والغنة في سورة الجن.

المبحث السابع: الدلالة الصوتية السياقية للمد الفرعي والغنة في سورة المزمل.

المبحث الثامن: الدلالة الصوتية السياقية للمد الفرعي والغنة في سورة المدثر.

المبحث التاسع: الدلالة الصوتية السياقية للمد الفرعي والغنة في سورة القيامة.

المبحث العاشر: الدلالة الصوتية السياقية للمد الفرعي والغنة في سورة الإنسان.

المبحث الحادي عشر: الدلالة الصوتية السياقية للمد الفرعي والغنة في سورة المرسلات.

التمهيد

يوضح التمهيد مصطلحات هذا البحث بشيء من التفصيل، وذلك من خلال ثلاثة مطالب، يوضح المطلب الأول مفهوم الدلالة الصوتية، ويتناول المطلب الثاني الخصائص الصوتية لأصوات المد وصوتي الغنة، ومواضع المد الفرعي والغنة، ويوضح المطلب الثالث إشارات المحدثين إلى الدلالة الصوتية للمد الفرعي والغنة في القرآن الكريم، وذلك على النحو التالي:

المطلب الأول: الدلالة الصوتية

تُستقى الدلالة اللغوية لأي نص بشكلها الكامل من عدة دلالات مجتمعة، وقد قسم ابن جني الدلالة اللغوية إلى ثلاثة أنواع: لفظية، وصناعية، ومعنوية(١)، وهذه الدلالات الثلاثة عند ابن جني تساوي الدلالة الصوتية والدلالة الصرفية والدلالة النحوية على الترتيب، ويُضاف لهذه الدلالات الدلالة المعجمية، والدلالة الاجتماعية، وهذه الأنواع الخمسة هي أنواع الدلالة عند معظم اللغويين المحدثين(٢).

وأتفق مع ما ذهب إليه فيرث من أن المعنى "كلٌّ مركب من مجموعة من الوظائف اللغوية، وأهم عناصر هذا الكل هو الوظيفة الصوتية، ثم المورفولوجية، والنحوية، والقاموسية، والوظيفية الدلالية لـ"سياق الحال"، فلا بد للوصول إلى المعنى من الربط بين النتائج التي توصل إليها هذه التحليلات جميعًا ... إن الوصول إلى معنى أي نص لغوي يستلزم:

١- أن يحلل النص اللغوي على المستويات اللغوية المختلفة: "الصوتية، والفونولوجية، والمورفولوجية، والنظمية، والمعجمية".

٢- أن يبين "سياق الحال": شخصية المتكلم، شخصية السامع، جميع الظروف المحيطة بالكلام إلخ.

٣- أن يبين نوع الوظيفة الكلامية: تمن، إغراء ... إلخ.

١- وأخيرًا يذكر الأثر الذي يتركه الكلام، "ضحك، تصديق، سخرية ... إلخ(٣)".

---

(١) الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ)، تحقيق محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الرابعة، ١٩٩٩م، ٣/١٠٠.

(٢) ينظر: دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثالثة، ١٩٧٦م، ص ٤٤: ٥١، ويرى بعض المحدثين أن أنواع الدلالة تنحصر في: الدلالة الأساسية (المعنى التصوري أو الإدراكي)، والدلالة الهامشية (المعنى الإضافي أو التضمني)، والدلالة الإيحائية (الصوتي، والصرفي، والدلالي)، والدلالة الوجدانية (المعنى النفسي)، والدلالة الأسلوبية. ينظر: علم الدلالة، د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م، ص ٣٦: ٤١.

(٣) علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، محمود السعران، دار الفكر العربي، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٩٧م، ص٢٥٣.

وبذلك تكون الدلالة الصوتية السياقية مكونًا من مكونات فهم الدلالة الكلية لأي نص لغوي يراد تحليله، والدلالة الصوتية هي الدلالة المستمدة من اختيار أصوات ذات خصائص معينة لتمثيل المعنى أو توضيحه والتأكيد عليه، فالدلالة الصوتية هي تلك الدلالة "التي تستمد من طبيعة بعض الأصوات(١)"، وقد اختار البحث الحالي الدلالة الصوتية للمد الفرعي والغنة مجالًا لدراسة الدلالة الصوتية السياقية في جزء تبارك.

وتقترب طبيعة المد الفرعي والغنة ممَّا يعرف بالفونيمات غير التركيبية في الدرس الصوتي الحديث، وهي" تلك المظاهر الصوتية التي تصاحب الكلمات المتصلة أو الجمل، فيكون لها دور في المعنى، وأهم هذه المظاهر النبر والتنغيم(٢)"، فإن "اللغة تتحول على ألسنتنا إلى فعل كلامي له خلفية من السمات التحبيرية يصنعها المتكلم نفسه على المستوى الفردي بالنسبة لدرجة الصوت من حيث الحدة والغلظة، وقوة الصوت من حيث العلو والانخفاض، وصفة الصوت من حيث ارتباطه بالمتكلم ذكرًا أو أنثى، أو حسنه أو قبحه، ومعدل الأداء الكلامي، وكما يصنعها النظام الصوتي الذي اصطلحت عليه الجماعة اللغوية، ويتمثل ذلك في الفونيمات فوق التركيبية أو الثانوية، مثل: النبر، والتنغيم، والسكتات الكلامية التي تصاحب الكلمات والجمل... **إننا عندما نتكلم نميل إلى التجاوب مع كل موقف بالنغمة الصوتية(٣)**".

ويضيف بعض المحدثين "أننا عندما نستمع إلى أي كلام متصل في أي لغة من اللغات ندرك أن عددًا من المقاطع أو الكلمات يكون أشد بروزًا أو وضوحًا من سائر الكلام...، وهذا البروز يسببه ارتباط وثيق بين طول الصوت وعلوه ووضوحه السمعي، ومعنى هذا أن الصوت يكون بارزًا عندما يكون أطول وأعلى وأوضح بسبب **قوة نفسية أشد**، ومن العسير أن نحكم أي هذه العناصر أهم،

(١) دلالة الألفاظ، د. إبراهيم أنيس، ص ٤٦.

(٢) الدلالة الصوتية في اللغة العربية، د. صالح سليم عبد القادر الفاخري، المكتب العربي الحديث، الإسكندرية، د.ط، د.ت، ص١٩١، ويضيف الدكتور صالح الفاخري أن الدلالة الصوتية تنقسم "إلى نوعين: دلالة صوتية مطردة، وهي المستفادة من الدور الذي تقوم به الأصوات اللغوية جميعها في اللغة، ودلالة صوتية غير مطردة، وهي ما تستفاد من طبيعة بعض الأصوات". الدلالة الصوتية في اللغة العربية، ص ٢٥٦

(٣) الدلالة الصوتية: دراسة لغوية لدلالة الصوت ودوره في التواصل، د. كريم زكي حسام الدين، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م، ص ١٩٤-١٩٥

فالتأثير العام الذي نسميه الارتكاز أو النبر يرجع في أغلب الأحوال إلى ارتباط اثنين أو أكثر من هذه العوامل(١)".

وقد عرَّف الدكتور كمال بشر النبر وأوضح أن من مظاهره تطويل بعض الأصوات وأكد على وظيفيته التوقيعية والدلالية، فقال:" النبر يشير إلى التأكيد أو التركيز في نطق كلمة أو جزء منها أو جملة أو عبارة أو جزء منهما في الكلام المتصل، قصدًا إلى إبراز ما خضع لهذا النطق والاهتمام به مقارنًا بما يجاوره، فيقال حينئذ accented word ,phrase or sentence ، وهذا المصطلح accent بهذا المعنى غالبًا ما يوظف عندما يناقش الكلام المنظوم أو الشعر؛ للإشارة إلى الخفقات أو النقرات البارزة beats في بيت الشعر، وقد يلجأ بعضهم إلى هذا اللون من التصويت النطقي في مجالات أخرى ذات أهميات خاصة، كالأحاديث السياسية ، والخطب الجماهيرية؛ قصدًا إلى مزيد الاهتمام، وتأكيد المقصود، والمصطلح accent هنا يشير إلى ضرب من التوقيع بما يصاحبه من تطويل في نطق بعض الأصوات (وخاصة الحركات)، وارتفاع الصوت واختلاف في درجة النغمة، ودرجة النبر كذلك، وللنبر stress وهذا التوقيع الصوتي الخاص accent دور بارز في موسيقى الكلام، وإصداره بألوان نغمية منوعة(٢)".

إن علاقة الصوت بالمعنى "طريق ينبغي أن يشق وباب يجب أن يفتح؛ ولا ريب أن متابعة التحري والبحث في هذا الاتجاه سيؤدي إلى نتائج عظيمة في تاريخ الكلم العربي ونظرات عميقة في تركيبها(٣)، وهذا النمط من الدراسات اللغوية لم يعد كلامًا نظريًّا، وإنما أصبح علمًا تطبيقيًّا يستنتج من خلال التعامل مع النصوص بوصفها تتكون من عناصر حية تتفاعل فيها الظواهر الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية والسياقية.

---

(١) الدلالة الصوتية: دراسة لغوية لدلالة الصوت ودوره في التواصل، ص ١٩٦-١٩٧

(٢) علم الأصوات، كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٠م، ص ٥٢٨، وقد أشار سيادته إلى وظيفة النبر بقوله: "وللنبر قيم صوتية (نطقية) وأخرى فنولوجية (وظيفية)، فهو من الناحية النطقية ذو أثر سمعي واضح، يميز مقطعًا من آخر أو كلمة من كلمة أخرى، أما من الناحية الوظيفية فإن النبر يقود إلى تعرف التتابع المقطعي في الكلمات ذات الأصل الواحد، عند تنوع درجات نبرها ومواقعه... أمَّا على مستوى الجملة فإن للنبر وظائف بالغة الأهمية، إنه عند تنوع النبر ودرجاته يفيد التأكيد emphasis أو المفارقة contrast". علم الأصوات، ص ٥١٥

(٣) فقه اللغة وخصائص العربية، دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية وعرض لمنهج العربية الأصيل في التجديد والتوليد، د. محمد المبارك، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٩٦٤م، ص ١٠٥.

المطلب الثاني: الطبيعة الصوتية لأصوات المد الفرعي والغنة

أولا: الطبيعة الصوتية لأصوات المد والمد الفرعي

أصوات المد في العربية هي الفتحة الطويلة، والضمة الطويلة، والكسرة الطويلة، فيما يعرف عند علمائنا القدماء بألف المد، وواو المد، وياء المد، وتشترك الحركات القصيرة والحركات الطويلة في مناطق إنتاجها؛ فينتج صوتا العلة: الكسرة وياء المد "عن طريق رفع مقدم اللسان في اتجاه منطقة الغار، ولكن مع ترك فراغ يسمح بمرور الهواء دون احتكاك مسموع ...، وفي منطقة الغار والطبق اللين مع وسط اللسان يتم إنتاج صوتي علة هما: الفتحة والألف، عن طريق إراحة اللسان في قاع الفم، مع ارتفاع طفيف جدًّا لوسطه في اتجاه منطقتي الغار والطبق اللين...، وفي منطقة الطبق اللين مع مؤخر اللسان: ينتج صوتا العلة: الضمة وواو المد عن طريق رفع مؤخر اللسان في اتجاه منطقة الطبق اللين بشكل يسمح بمرور الهواء، ولكن مع ترك فراغ يسمح بمرور الهواء دون احتكاك مسموع[١].

أمَّا الخلاف بين العلل الطويلة والعلل القصيرة فإن "الدراسة التشريحية أثبتت أن الخلاف بين العلل الطويلة والعلل القصيرة (منعزلة) ليس خلافًا في الكمية فقط، وإنما في الكيفية كذلك، فموقع اللسان مع إحدى العلتين مختلف قليلًا، كما يتضح من الرسم الآتي[٢]:

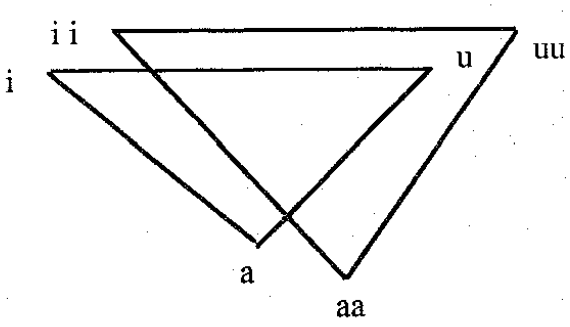

(١) دراسة الصوت اللغوي، ص ٣١٧-٣١٨.

(٢) المرجع السابق، ص ٣٢٩-٣٣٠.

أ- الخصائص الصوتية لأصوات المد والمد الفرعي

تمتاز أصوات المد (الصوائت الطويلة) بعدة خصائص، وهي:

الخصيصة الأول: قوة الوضوح السمعي.

تتسم أصوات المد بخصيصة قوة الوضوح السمعي، ويرجع ذلك إلى كونها مجهورة، وكذلك إلى عدم وجود حوائل تعترض الهواء في أثناء النطق بها ومرورها حرة طليقة من دون أي احتكاك أو إعاقة تمنع خروج الهواء أو تسبب فيه احتكاكًا مسموعًا، يقول الدكتور إبراهيم أنيس :"الصفة التي تجمع بين كل أصوات اللين[١] (vowels) هي أنه عند النطق بها يندفع الهواء من الرئتين مارًّا بالحنجرة، ثم يتخذ مجراه في الحلق والفم في ممر ليس فيه حوائل تعترضه فتضيق مجراه كما يحدث مع الأصوات الرخوة، أو تحبس النفس ولا تسمح له بالمرور كما يحدث مع الأصوات الشديدة، فالصفة التي تختص بها أصوات اللين هي كيفية مرور الهواء في الحلق والفم وخلو مجراه من حوائل وموانع ... فأصوات اللين تُسمع من مسافة عندها تختفي الأصوات الساكنة أو يخطأ في تمييزها، فالفتحة مثلا (وهي صوت لين قصير) تُسمع بوضوح من مسافة أبعد كثيرًا مما نسمع عندها الفاء... وليست كل أصوات اللين ذات نسبة واحدة في الوضوح السمعي؛ بل منها الأوضح، فأصوات اللين المتسعة أوضح من الضيقة، أي أن الفتحة أوضح من الضمة والكسرة ... والوضوح السمعي الذي بُنيت عليه التفرقة بين الأصوات الساكنة وأصوات اللين هو تلك الصفة الطبيعية في الصوت لا المكتسبة من طول أو نبرة، فصوت اللين أوضح بطبعه من الصوت الساكن[٢]".

ويقرر الدكتور أحمد مختار عمر أنه بمراجعة أطوال أصوات اللغة العربية مراعًى فيها أن تكون في وسط الكلمة تحتل العلل الطويلة المراكز العليا في طول الصوت، (فحدها الأدنى ٢٢٥، وحدها الأعلى ٣٥٠ محسوبًا بالجزء من الألف من الثانية)، ومن حيث درجة الإسماع تحتل العلل الطويلة أيضًا المراكز الثلاثة العليا ...؛ مما يعطيها بروزًا بالنسبة لسائر الأصوات [٣].

---

(١) يطلق الدكتور إبراهيم أنيس مصطلح (أصوات اللين) على كلٍّ من الحركات القصيرة، والحركات الطويلة. ينظر: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص ٢٨.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٧.

(٣) ينظر: دراسة الصوت اللغوي، ص ٣٦٣-٣٦٤، وقد ذهب بلومفيلد إلى أن صوت المد عبارة عن "تعديلات للصوت المنطوق لا تتضمن غلقًا ولا احتكاكًا ولا اتصالًا من اللسان أو الشفتين". دراسة الصوت اللغوي، ص ١٣٧

الخصيصة الثانية: أصوات المد مجهورة ورنانة وموسيقية

أصوات المد أصوات مجهورة[١]، وهي من الأصوات الرنانة (Sonorant) التي تنتج بتشكيل التجويف للوترين الصوتيين الذي يجعل الجهر التلقائي ممكنًا، والأصوات الرنانة في اللغة العربية هي: الأصوات الأنفية، والمكررة، والجانبية، ونصف الصوائت، والأصوات الصائتة، (م، ن، ر، ل، و، ي، فتحة، كسرة، ضمة)، و"قد أطلق Glesson على هذا النوع اسم الأصوات الرنينية[٢]".

ولقد أدى عدم الاحتكاك في إنتاج هذه الأصوات "إلى أن تكون أصوات المد أصواتًا موسيقية منتظمة، قابلة للقياس، خالية من الضوضاء، لها القدرة على الاستمرار، وهي بهذا تختلف عن الصوامت التي هي عبارة عن ضوضاء Noise ناتجة عن احتكاك[٣]".

ب- طبيعة المد الفرعي وأسبابه

المد الفرعي: هو المد الزائد عن المد الأصلي الطبيعي بسبب وقوع الهمزة أو السكون بعد حرف المد[٤]، ومعنى زيادة المد أن يكون بمقدار أربع حركات (التوسط)، أو خمس (فويق التوسط)، أو ست (الإشباع)، وسُمِّي المد الفرعي فرعيًّا؛ "لتفرعه من المد الطبيعي، أو لتفرع جميع المدود منه سوى المد الطبيعي، ويُسمَّى أيضًا بالمد المزيدي؛ لزيادة مده على مقدار المد الطبيعي[٥]"، ولا تختلف طبيعة صوت المد الفرعي عن صوت المد الطبيعي، فإنه "لا يصح اعتبار العلة الطويلة في اللغة العربية

(١) ينظر: دراسة الصوت اللغوي، ص ٣٢٤.

(٢) المرجع السابق، ص ١١٤، وينظر: الخصائص النطقية والفيزيائية للصوامت الرنينية في العربية، محمود فتح الله أحمد الصغير، رسالة دكتوراه، كلية التربية، جامعة اليرموك، الأردن، ٢٠٠٧م، ص ٣١، وأصوات الرنين في العربية، دراسة نطقية أكواستيكية، إلهام عبد الله سليمان أبو فريحة، ماجستير، عمادة الدراسات العليا، الأردن، ٢٠٠٦م، ٦٩.

(٣) في الأصوات اللغوية: دراسة في أصوات المد العربية، د. غالب فاضل المطلبي، منشورة وزارة الثقافة والإعلام سلسلة دراسات (٣٦٤)، ١٩٨٤م، ص ٢٤-٢٥.

(٤) ينظر: التمهيد في علم التجويد، لابن الجزري (ت ٨٣٣هـ)، تحقيق الدكتور علي حسين البواب، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م، ص١٦١.

(٥) هداية القاري إلى تجويد كلام الباري، هداية القاري إلى تجويد كلام الباري، عبد الفتاح السيد عجمي المرصفي، مكتبة طيبة، المدينة المنورة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٥م، ٢٧٥/١.

كعلة مركبة؛ لأنها علة بسيطة لا يغير اللسان موضعه أثناء النطق بها حتى لو طال امتدادها... ولا يوجد أي صوت آخر يمكن أن يشكل عنصرًا ثانيًا مع a̅ [١]".

ويُكسِب المد الفرعي الصوائتَ الطويلة نعومة واستطالة، فيصف ابن جني الصوائت الطويلة (أصوات المد) إذا تلاهن الهمز أو الحرف المشدد بأنها لدنات ناعمات وافيات مستطيلات[٢].

ويزداد المد عن مقداره الطبيعي في القرآن الكريم في الحالات الصوتية الآتية:

الحالة الأولى: أن يقع بعد صوت المد همزة، ويفسر ابن جني هذا المد الزائد بالحرص على تحقيق صوت الهمزة وبيانه، فإن "الهمزة حرف نأى منشؤه وتراخى مخرجه، فإذا أنت نطقت بهذه الأحرف المصوتة قبله، ثم تماديت بهن نحوه طلن وشعن في الصوت فوفين له، وزدن في بيانه ومكانه[٣]"، ويرجع بعض المحدثين إطالة المد بعد الهمزة إلى الحرص على صوت اللين وطوله لئلا يتأثر بمجاورة الهمزة؛ "لأن الجمع بين صوت اللين والهمزة كالجمع بين متناقضين؛ إذ الأول يستلزم أن يكون مجرى الهواء معه حرًّا طليقًا، وأن تكون فتحة المزمار حين النطق به منبسطة منفرجة، في حين أن النطق بالهمزة يستلزم انطباق فتحة المزمار انطباقًا محكمًا يليه انفراجها فجأة، فإطالة صوت اللين مع الهمزة يعطي المتكلم فرصة ليتمكن من الاستعداد للنطق بالهمزة التي تحتاج إلى مجهود عضلي كبير وإلى عملية صوتية تباين كل المباينة الوضع الصوتي الذي تتطلبه أصوات اللين[٤]".

---

(١) دراسة الصوت اللغوي، ص ٣٥٥.

(٢) ينظر: الخصائص ١٢٧/٣.

(٣) الخصائص ١٢٧/٣.

(٤) الأصوات اللغوية ١٥٨، وقد جمع بعض علماء القراءات والتجويد بين رأي ابن جني ورأي المحدثين في تفسير هذه الإطالة بقوله:" طُوِّل ذلك المد؛ استعانة على النطق بالهمز محققًا، وبيانًا لحرف المد؛ خوفًا من سقوطه عند الإسراع؛ لخفائه وصعوبة الهمز بعده". شرح الشاطبية المسمى إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع، لأبي شامة المقدسي (ت ٦٦٥هـ)، تحقيق وتقديم وضبط إبراهيم عطوة عوض، دار الكتب العلمية، د. ط، ص١١٣.

ويُنتِج هذا السبب الصوتي ما يلي من أنواع المدود الفرعية[١]:

١- **المد الواجب المتصل:** وهو ما اجتمع حرفه وسببه في كلمة واحدة، أي: اتصلت الهمزة فيه بحرف المد، مثل: ﴿جَآءَ﴾، و﴿جِآيْءَ﴾، و﴿سُوٓءَ﴾، وسمي متصلًا لذلك، وأما تسميته واجبًا؛ فلأن القراء أجمعوا على وجوب مده، وإن كانوا اختلفوا في مقدار مده، والمد المتصل مد واجب قدره أربع حركات، أو خمس حركات.

٢- **المد الجائز المنفصل:** وهو ما انفصل حرفه عن سببه، فكان كل منهما في كلمة، مثل: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾، و﴿إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ ﴾، و﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا﴾، وسمي منفصلًا؛ لانفصال الهمزة فيه عن حرف المد، وسمي جائزًا لأنه يجوز قصره ومده، والرواية في قراءة حفص عن عاصم المد بمقدار أربع حركات أو خمس.

٣- **مد البدل:** إذا وقع الهمز قبل المد فيسمى المد مد بدل، مثل: ﴿ءَادَمَ﴾، ﴿ءَازَرَ ﴾، ﴿أُوتُواْ﴾، ﴿إِيمَٰنَا﴾،وسمي بذلك؛ لأن حرف المد فيه بدل عن الهمزة الساكنة التي أبدلت ألفًا أو واوًا أو ياء، إذ أصلها: (أَأْدم)، (أَأْزر)، (أُؤْتُوا)، (إِئْمانًا)، ويمد بمقدار حركتين كالطبيعي؛ ولذلك فلن يدخل مد البدل في هذا البحث.

الحالة الثانية: أن يقع بعد صوت المد حرف ساكن أو مشدد

وينتج هذا السبب الصوتي ما يلي من أنواع المدود الفرعية[٢]:

١- **المد اللازم الكلمي المثقل:** وضابطه أن يأتي بعد حرف المد ساكن لازم مصحوب بالإدغام أو التشديد، مثل: ﴿ٱلطَّآمَّةُ﴾، ﴿ٱلصَّآخَّةُ ﴾، وسمي كلميًا لوقوع المد في كلمة، ومثقلًا لوجود الإدغام أو التشديد معه، ويفسر ابن جني هذا المد الزائد بقوله: "وأما سبب نعمتهن ووفائهن وتماديهن إذا وقع المشدد بعدهن فلأنهن -كما ترى- سواكن، وأول المثلين مع التشديد ساكن، فيجفو عليهم أن يتلقى الساكنان حشوًا في كلامهم، فحينئذ ما ينهضون بالألف بقوة الاعتماد عليها، فيجعلون طولها ووفاء الصوت بها عوضًا مما كان يجب لالتقاء الساكنين: من تحريكها إذا لم يجدوا عليه تطرقًا، ولا

(١) قواعد التجويد على رواية حفص عن عاصم بن أبي النجود، عبد العزيز بن عبد الفتاح القارئ، مكتبة الدار بالمدينة المنورة، الطبعة الخامسة، ١٤١٠هـ، ص٩٧-٩٨.

(٢) المرجع السابق، ص٩٨: ١٠٠

بالاستراحة إليه تعلقًا[١]". ويفسر بعض المحدثين هذه الإطالة في حرف المد بالحرص على الحفاظ على طبيعة هذا الصوت؛ فإن" طبيعة اللغة العربية ونسجها تستلزم قصر أصوات اللين الطويلة حين يليها صوتان ساكنان، فحرصًا على صوت اللين وإبقاءً على ما فيه من طول، بُولغ في طوله لئلا تصيبه تلك الظاهرة التي شاعت في اللهجات العربية قديمها وحديثها من ميل صوت اللين إلى القصر حين يليه صوتان ساكنان[٢]".

٢- **المد اللازم الكلمي المخفف:** إذا كان الساكن اللازم بعد حرف المد ليس بمدغم ولا مشدد، ولم يقع منه في القرآن إلا كلمة ﴿ءَآلْـَٰٔنَ﴾ الاستفهامية في موضعين: ﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ۝٥١﴾ [يُونُس : ٥١] ، و﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝٩١﴾ [يُونُس : ٩١] .

٣- **المد اللازم الحرفي المثقل:** ويكون في الحروف المقطعة من فواتح السور، إذا كان الساكن بعد صوت المد اللازم مصحوبًا بالإدغام، مثل: ﴿الٓمٓ﴾ ، ﴿طسٓمٓ﴾.

٤- **المد اللازم الحرفي المخفف:** إذا كان الساكن بعد المد خاليًا من الإدغام، مثل: ﴿نٓ﴾، و﴿يسٓ﴾.

والمد اللازم بجميع أنواعه الأربعة يجب مده بمقدار ست حركات، وهو الطول، ويسمى الإشباع، هذا عند جميع القراء.

أمَّا المد العارض للسكون فيحدث إذا عرض بعد حرف المد سكون بسبب الوقف، فالسكون غير أصلي بل سببه الوقف فقط، مثل: (مَنَّابْ)، (مَحْيَاي)، (تَعْلَمُون)، (الْخُرُوج)، (مُنِيب)، (شَهِيد)، فللمد حينئذ ثلاثة أوجه: القصر (بمقدار حركتين)، والتوسط (بمقدار أربع حركات)، والإشباع (بمقدار ست حركات)، **ويلحق بالمد العارض للسكون مد اللين:** فإن الواو والياء إذا سكنتا وانفتح ما قبلهما كانتا لينتين، فإن وصلت امتنع فيهما المد، وإن وقفت فحكمهما حينئذ حكم العارض للسكون، لك فيهما الأوجه الثلاثة. مثاله: (خَوْف)، (البَيْت)، (المَوْت)، (شَيْء)، وإذا اجتمع سببان للمد: قوي وضعيف، فالعبرة بالسبب القوي، ففي مثل: (نَشَاء) (نَفِيء) (السُّوء) لا يجوز القصر في حالة الوقف، إعمالًا للسبب الأقوى وهو الهمزة المتصلة، وأما السكون العارض بسبب الوقف فلا يعتد به هنا.

(١) الخصائص ١٢٨/٣

(٢) الأصوات اللغوية، ص ١٥٩

أمَّا الحالة الثالثة لزيادة المد في اللغة العربية فهي خارج القرآن، وهي حالة الوقف عند التذكر، يقول ابن جني: "وإنما مُطِلت ومُدَّت هذه الأحرف في الوقف وعند التذكر، من قبل أنك لو وقفت عليها غير ممطولة ولا ممكنة المدة، فقلت: ضربا وضربوا واضربي، وما كانت هذه حاله، وأنت مع ذلك متذكر لم توجد في لفظك دليلًا على أنك متذكر شيئًا، ولأوهمت كل الإيهام أنك قد أتممت كلامك، ولم يبق من بعده مطلوب متوقع لك؛ لكنك لما وقفت ومطلت الحرف علم بذلك أنك متطاول إلى كلام تالٍ للأول منوطٍ به، معقود ما قبله على تضمنه وخلطه بجملته(١)".

ولقد حرص النبي الكريم ﷺ على تحقيق المد في قراءته؛ مما يدل على أنه ليس مجرد حلية لفظية، وإنما له جليل الأثر في إيضاح الدلالة، فعن مسعود بن يزيد الكندي قال: "كان ابن مسعود يقرئ رجلًا، فقرأ الرجل: ﴿۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ﴾ [التَّوۡبَة : ٦٠] مرسلة، فقال ابن مسعود: ما هكذا أقرأنيها النبي ﷺ، فقال: وكيف أقرأكها يا أبا عبد الرحمن؟ قال: أقرأنيها: ﴿۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ﴾ [التَّوۡبَة : ٦٠]، فمددوها(٢)"، وعن قتادة قال: سألت أنس بن مالك –رضي الله عنه– عن قراءة النبي ﷺ فقال: "كان يمد مدًّا(٣)"، "وقوله –تعالى–: ﴿وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا﴾ [المُزَّمِّل : ٤] يدل على التمهل، والتمهل يعطي المد، وهو الاختيار لإجماع أكثر القراء على ذلك(٤)".

(١) الخصائص ١٣٠/٣

(٢) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لأبي الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت ٨٠٧ هـ)، تحقيق حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م، ١٥٥/٧

(٣) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب: فضائل القرآن، باب: مد القراءة، (١٩٢٤/٤)، (رقم: ٤٧٥٨)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٤) هداية القاري إلى تجويد كلام الباري ٢٦٤/١: ٢٦٦

ثانيًا: الطبيعة الصوتية لصوتي الغنة (النون والميم)

تُعرَّف الغنة بأنها "صوت أغن مركب في جسم النون –ولو تنوينًا– والميم مطلقًا، أي: إن صوت الغنة صفة لازمة للنون والميم، سواء كانتا متحركتين أو ساكنتين مظهرتين أو مدغمتين أو مخفاتين، ومخرجها من الخيشوم ... وهو خرق الأنف المنجذب إلى داخل الفم، وقيل: هو أقصى الأنف [١]"، ويتميز صوتا الغنة (الميم والنون) في اللغة العربية بخصائص تجعلهما جديرتان بالقيام بوظيفة التنبيه والتأكيد على مقاصد المتكلم في بعض السياقات القرآنية، ومن هذه الخصائص:

الخصيصة الأولى: النون والميم أكثر الأصوات الصامتة وضوحًا في السمع.

يعزو الدكتور كمال بشر الوضوح السمعي في الميم والنون إلى أنهما يشتركان مع الحركات في أهم خاصة من خواصها النطقية، وهي حرية مرور الهواء دون أي عائق، وأنهما صوتان مجهوران؛ ولذلك يطلق الدكتور كمال بشر على مجموعة الأصوات (ل . م . ن . ر) مصطلح أشباه الحركات vowel-like (consonants) [٢]، وقد أشار سيادته إلى أن بعض المحدثين يطلق على هذه المجموعة من الأصوات مصطلح الأصوات السلسة اللينة (liquids) ، أو الأصوات الصائتية (vocalic)[٣].

ويحتل الصوتان الأنفيان المركز الخامس من حيث طول الصوت؛ (فالحد الأدنى لهما ٧٠، والحد الأعلى ٩٠ محسوبًا بالجزء من الألف من الثانية)، ومن حيث درجة الإسماع يحتلان المركز الخامس بين أصوات العربية[٤].

---

(١) هداية القاري إلى تجويد كلام الباري ١٧٧/١، وينظر: غاية المريد في علم التجويد، تأليف عطية قابل نصر، المديرية العامة للمطبوعات بوزارة الإعلام، الرياض، الطبعة الرابعة ، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م، ص٧١

(٢) علم الأصوات، ص ٣٦٠، وقد أطلق عليها القدماء مصطلح (الأصوات المتوسطة بين الشدة والرخاوة)، وأضافوا إليها صوت العين، والواو والياء (أنصاف الحركات)، وجمعوها في عبارة (لم يروعنا). ينظر: سر صناعة الإعراب، لابن جني (ت ٣٩٢هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م، ص ٧٥/١

(٣) ينظر: علم الأصوات، ص ٣٥٨- ٣٥٩

(٤) ينظر: دراسة الصوت اللغوي، ص ٣٦٤، وقد أطلق عليها الدكتور إبراهيم أنيس مصطلح الأصوات المائعة. ينظر: الأصوات اللغوية ٢٤

وقد استدل الدكتور كمال بشر بكون (الراء واللام والميم والنون) أكثر الأصوات توظيفًا في الروي، على أن هذه الأصوات تمتاز بقوة الإسماع الذي يزيد من روعة موسيقى الشعر ونغمات الإنشاد(١).

الخصيصة الثانية: النون والميم من مجموعة الأصوات خفيفة النطق، وهي الحروف المجموعة في قولنا (فر من لب)، فقد سماها القدماء حروف الذلاقة، بسبب "خفتها وسرعة النطق بحروفها؛ لأن بعضها يخرج من ذلق اللسان، أي: طرفه، وهو: الراء، واللام، والنون، وبعضها يخرج من ذلق الشفة، وهو: الفاء، والباء، والميم(٢)"، ولسهولة النطق بهذه الأصوات كثرت في أبنية الكلام، فلا يخلو رباعي أو خماسي من هذه الأصوات إلا نادرًا، يقول ابن جني:" وفي هذه الحروف الستة سر طريف، يُنتفع به في اللغة، وذلك أنك متى رأيت اسمًا رباعيًّا أو خماسيًّا غير ذي زوائد، فلا بد فيه من حرف من هذه الستة، أو حرفين، وربما كان فيه ثلاثة ... فمتى وجدت كلمة رباعية وخماسية معرَّاة من بعض هذه الحروف الستة، فاقض بأنه دخيل في كلام العرب وليس منه ... وربما جاء بعض ذوات الأربعة مُعرَّى من بعض هذه الستة، وهو قليل جدًّا(٣)".

وقد أكد هذه الحقيقة المبثوثة في كتب القدماء علم اللغة الإحصائي، فقد ذكرت بعض البحوث أن أكثر الأصوات العربية ورودًا في الجذور الثلاثية لمجم الصحاح هي : الراء، والميم، والنون، واللام، والباء، والعين، والفاء، ثم الدال، والقاف، والسين(٤).

(١) ينظر: علم الأصوات، ص ٣٥٩

(٢) هداية القاري إلى تجويد كلام الباري ٨٣/١، وينظر: العميد في علم التجويد، محمود بن علي بسة المصري، تحقيق محمد الصادق قمحاوى، دار العقيدة، الإسكندرية، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م، ص٦٢

(٣) سر صناعة الإعراب ٧٨/١

(٤) ينظر: دراسة إحصائية لجذور معجم الصحاح باستخدام الكمبيوتر، للدكتور علي حلمي موسى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٨م، ص ١٨١

الخصيصة الثالثة: الجهر

صوت النون صوت أسناني لثوي أنفي[١]، وهو "صوت مجهور متوسط بين الشدة والرخاوة، ففي النطق به يندفع الهواء من الرئتين محركًا الوترين الصوتيين، ثم يتخذ مجراه في الحلق أولا، حتى إذا وصل إلى الحلق هبط أقصى الحنك الأعلى فيسد بهبوطه فتحة الفم ويتسرب الهواء من التجويف الأنفي محدثًا في مروره نوعًا من الحفيف لا يكاد يسمع، فهي في هذا كالميم، غير أنه يفرق بينهما أن طرف اللسان مع النون يلتقي بأصول الثنايا العليا، وأن الشفتين مع الميم هما العضوان اللذان يلتقيان[٢]".

أمَّا صوت الميم فمن الأصوات الشفوية[٣]، وهو أيضًا "صوت مجهور لا هو بالشديد ولا هو بالرخو؛ بل مما يسمى بالأصوات المتوسطة، ويتكون هذا الصوت بأن يمر الهواء بالحنجرة أولا، فيتذبذب الوتران الصوتيان، فإذا وصل في مجراه إلى الفم هبط أقصى الحنك، فسد مجرى الفم، فيتخذ الهواء مجرى في التجويف الأنفي، محدثًا في مروره نوعًا من الحفيف لا يكاد يسمع، وفي أثناء تسرب الهواء من التجويف الأنفي تنطبق الشفتان تمام الانطباق، ولقلة ما يسمع من حفيف اعتبرت في درجة وسطى بين الشدة والرخاوة؛ لأن خاصية الأصوات الشديدة هي الانفجار حين النطق بها، وخاصية الأصوات الرخوة هي نسبة الحفيف الذي قد يصل في بعض الأصوات الرخوة إلى صفير، كما في السين والزاي[٤]".

(١) ينظر: علم الأصوات، كمال بشر، ٣٤٩

(٢) الأصوات اللغوية ٦٦- ٦٧ ، وينظر: علم الأصوات، كمال بشر، ٣٤٨-٣٤٩ ، ويتم نطق النون عن طريق" اتصال طرف اللسان باللثة اتصالًا محكمًا يمنع مرور الهواء، وتخفيض الطبق اللين ليسمح بمرور الهواء من تجويف الأنف (أنفي)، ويسمى الصوت حينئذ لثويًا" ينظر: دراسة الصوت اللغوي، ص ٣١٦

(٣) ويسمى الصوت الشفوي الثنائي الشفتاني، فالميم يتم نطقها "في حالة قفل الشفتين مع إنزال الطبق اللين (ليسمح للهواء بالمرور من تجويف الأنف) ينتج صوت الميم (أنفي)". دراسة الصوت اللغوي، ص ٣١٥

(٤) الأصوات اللغوية، ص ٤٥-٤٦

الخصيصة الرابعة: صوتان أنفيان وقفيان مرققان.

النون والميم أنفيان من الأصوات الرنانة، لأن" مجرى الهواء مع كل من الميم والنون هو التجويف الأنفي وحده[١]"؛ إذ يحدث التحكم في صوتي الميم والنون عن طريق قفل المجرى في نقطة وتسريح الهواء من الأنف؛ ولذلك يوصفان بأنهما أنفيان[٢]. أمَّا من حيث كيفية التدخل في مجرى الهواء والتدخلات الثانوية فإن الميم والنون من السواكن الوقفية بالنظر إلى وضع اللسان في الفم، وهي أيضًا من السواكن الأنفية المرققة المجهورة[٣].

ولا تحدث الغنة في حالة إظهار النون في القرآن الكريم؛ لأن "النون المشكلة بالسكون ينعدم تأثرها بأصوات الحلق؛ لبعد المخرج والصفة بين النون وهذه الأصوات[٤]"، فتظهر النون بغير غنة، ويرى بعض المحدثين أن "الوسيلة التي لجأ إليها القراء منذ القدم لإعطاء النون بعض حقها الصوتي مع غير أصوات الحلق هي الغنة، فالغنة التي حالت بين النون وفنائها في غيرها من الأصوات هي وسيلة لجأ القراء إليها احترازًا من أن يُقرأ القرآن كما يتكلم الناس في أحاديثهم الدارجة؛ لأن النون في تلك الأحاديث مالت فيما يظهر إلى الفناء في غيرها من الأصوات دون أن تخلف أية إشارة تنبئ عنها[٥]".

وترد الغنة في القرآن الكريم فيما يأتي[٦]:

١- النون الساكنة والتنوين في حالات الإدغام بغنة، والإقلاب، والإخفاء.

٢- النون والميم المشددتين.

٣- الميم الساكنة في حالتي: الإخفاء، الإدغام.

---

(١) المرجع السابق، ص ٦٧.

(٢) دراسة الصوت اللغوي، ص ٣٢٢.

(٣) المرجع السابق، ص ٣٢٠.

(٤) الأصوات اللغوية، ص ٦٨.

(٥) المرجع السابق، ص ٧٠.

(٦) غاية المريد في علم التجويد، ص ٧٢.

ثالثًا: العلاقة بين صوتي الغنة وأصوات المد

أثبتت الدراسات الصوتية الحديثة أن الميم والنون ومعهما اللام " أكثر الأصوات الساكنة وضوحًا، وأقربها إلى طبيعة أصوات اللين؛ ولذا يميل بعضهم إلى تسميتها أشباه أصوات اللين، ومن الممكن أن تعد حلقة وسطى بين الأصوات الساكنة وأصوات اللين، ففيها من صفات الأولى أن مجرى النفس معها تعترضه بعض الحوائل، وفيها أيضًا من صفات أصوات اللين أنها لا يكاد يسمع لها أي نوع من الحفيف، وأنها أكثر وضوحًا في السمع(١)".

وممَّا سبق عرضه من خصائص المد وخصائص الغنة يتضح لنا أن الغنة تشترك مع المد في قوة الوضوح السمعي، من خلال اشتراكهما في صفات: الجهر، وطول الصوت الطبعي، وعدم الاحتكاك، كما تشترك معه في الرنينية وإصدار النغمة الموسيقية، ومن أهم الصفات المشتركة بين الغنة والمد الفرعي الإطالة الصوتية التي يحدثها كلٌّ منهما؛ إذ يقرر الدكتور إبراهيم أنيس أنه" ليست الغنة إلا إطالة لصوت النون مع تردد موسيقي محبب فيها، فالزمن الذي يستغرقه النطق بالغنة هي في معظم الأحيان ضِعف ما تحتاج إليه النون المظهرة، وليس هذا إلا للحيلولة بين النون والفناء في غيرها، فالفرق بين النون المظهرة ونون الغنة فرق في الكمية من ناحية، وتطور النون وميلها إلى مخرج الصوت المجاور من ناحية أخرى(٢)".

(١) الأصوات اللغوية، ص ٢٧.

(٢) المرجع السابق، ص ٧٠، ويقول في موضع آخر:" وقد عني القراء منذ القدم بإطالة بعض الأصوات الساكنة في اللغة العربية، وقد ظهر ذلك جليًا في حديثهم عن أحكام النون والميم الساكنتين، فقد حاولوا أن يحولوا بين هذين الصوتين وفنائهما فيما بعدهما من الأصوات ، فأطالوا الميم حين يليها الباء وحين تكون مشددة، كما أطالوا النون مع خمسة عشر صوتا هي التي عرفت بالأصوات التي تختفي معها النون، ومظهر هذه الإطالة هو فيما سماه القدماء بالغنة؛ إذ ليست الغنة إلا إطالة في النون والميم". الأصوات اللغوية، ص ١٥٥ – ١٥٦.

المطلب الثالث: إشارات المحدثين إلى الدلالة الصوتية للمد والغنة في القرآن الكريم

التفت شيخ أدباء العربية الرافعي إلى الدلالة الصوتية للمد التفاتة سريعة في أثناء حديثه عن إعجاز الكلمات القرآنية وحروفها؛ إذ أشار إلى أن زيادة بعض الأصوات الممدودة والأصوات ذات الغنة لها وظيفة دلالية خاصة تنهض بها في سياقها، ولم تكن لتتوفر هذه الدلالة السياقية لولا زيادة هذا الحرف، ومن ذلك زيادة (مَا) في قوله –تعالى–:﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ [آل عِمْرَان : ١٥٩]، وزيادة (أن) في قوله –تعالى–:﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا﴾ [يُوسُف : ٩٦]، فيقول: " فإن النحاة يقولون إن (ما) في الآية الأولى و (أن) في الثانية، زائدتان، أي في الإعراب؛ فيظن من لا بصر له أنهما كذلك في النظم ويقيس عليه، مع أن في هذه الزيادة لونًا من التصوير لو هو حُذف من الكلام لذهب بكثير من حسنه وروعته، فإن المراد بالآية الأولى تصوير لين النبي ﷺ لقومه، وأن ذلك رحمة من الله، فجاء هذا المد في (ما) وصفًا لفظيًّا يؤكد معنى اللين ويفخمه، وفوق ذلك فإن لهجة النطق به تُشعر بانعطاف وعناية لا يُبتدأ هذا المعنى بأحسن منهما في بلاغة السياق، ثم كان الفصل بين الباء الجارَّة ومجرورها (وهو لفظ رحمة)؛ ممَّا يلفت النفس إلى تدبر المعنى وينبه الفكر على قيمة الرحمة فيه، وذلك كله طبعي في بلاغة الآية كما ترى. والمراد بالثانية تصوير الفصل الذي كان بين قيام البشير بقميص يوسف وبين مجيئه لبعد ما كان بين يوسف وأبيه –عليهما السلام– وأن ذلك كأنه كان منتظرًا بقلق واضطراب تؤكدهما وتصف الطرب لمقدمه واستقراره، غنة هذه النون في الكلمة الفاصلة؛ وهي "أن" في قوله: "(أَن جَآءَ)، وعلى هذا يجري كل ما ظُن أنه في القرآن مزيد: فإن اعتبار الزيادة فيه وإقرارها بمعناها، إنما هو نقص يجل القرآن عنه، وليس يقول بذلك إلا رجل يعتسف الكلام ويقتضي فيه بغير علمه أو بعلم غيره[١]".

ويشير الدكتور أحمد ياسوف إلى ضرورة الالتفات إلى جماليات المدود في القرآن الكريم؛ إذ يقول: "ولا شك أن جماليات المدود منثورة في كلمات القرآن بكثرة، وتحتاج إلى مثل هذه المنهجية... ولو أن الباحث رجع إلى علم التجويد، والتجويد يعني القراءة الصحيحة العادلة للقرآن الكريم لأدرك دقائق فنية موسيقية تكون عونًا له على كشف مصطلح الإيقاع أو اللحن، فإن التجويد يقول بوجود أنواع للمدود، فهنالك مد بحركتين، ومد بأربع حركات، ومد بست حركات، وهو: مد لازم مثقل: وضابطه مثل: (الطامَّة)، و(الصاخَّة)، و(أتحاجُّوني)، و(تأمرونِّي)، والمد اللازم بجميع أنواعه الأربعة يجب مده

(١) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية للرافعي، ص١٥٩.

بمقدار ست حركات، ويُسمَّى الإشباع، وهذا عند جميع القراء، ولو طبقت أنواع المدود اللازمة مثلًا لوجدنا مادة وفيرة عند الباحثين، وكثيرًا من الآراء كانت في أمس الحاجة إلى مفاتيح هذا الفن(١)".

وقد ذكر سيادته بعض الأمثلة لبيان الجمالية الدلالية للمد الفرعي في القرآن الكريم، ومن ذلك لفظ ﴿ٱلۡحَآقَّةُ﴾ [الحَاقَّة : ١] في مطلع السورة الكريمة المسماة بهذا اللفظ، فيقول:" والحق أن هذا العنف المبثوث في طيات هذه المفردات السابقة يكمن في وجود هذا المد الطويل الذي لا غنى عنه، حتى الوصول إلى الشدة، وكأنما تصور الحركات شدة هذا اليوم الهائل، فهي تصور الهبوط القوي الذي يفسر معنى الطم والصخ وغير هذا... وغالبًا ما يرد هذا في البيان القرآني في مواقف الشدة والتهديد والتقريع العنيف، فكلمة (تشاقون) ترد في موقف دحض حجة المشركين الواهية؛ إذ يقول -تبارك وتعالى-: ﴿أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمۡۚ﴾ [النَّحل : ٢٧] ، ويقول -تعالى- عن المنافقين: ﴿وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ﴾ [مُحَمَّد : ٣٢] ، ويقول -عز وجل- في سورة الشورى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ﴾ [الشُّورَى : ١٦] وغيرها(٢)".

وكذلك نجد أن الدكتور محمد العبد في تحليله الصوتي الدلالي لقوله -تعالى-: ﴿وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٖ ٥١﴾ [فُصِّلَت : ٥١] يلفت أذهاننا إلى أن "اتفاق البنية الفونولوجية للموصوف (دعاء) تأتلف مع صفته (عريض)؛ وذلك أن الألف في (دعاء) سوف يصل صوتها وتتمكن مدتها لوقوع الهمزة بعدها ... وإذا كان الأمر كذلك رسخت الألف في المد وتمادي الصوت بها في الموصوف، وكأن الموصوف بما فيه من وفاء الصوت وتمكن المد يحكي معنى الصفة ويطابقها(٣)".

(١) جماليات المفردة القرآنية، للدكتور أحمد ياسوف، دار المكتبى – دمشق، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م، ص ٢١٧-٢١٨.

(٢) المرجع السابق، ص ٢١٨-٢١٩.

(٣) المفارقة القرآنية دراسة في بنية الدلالة، للدكتور محمد العبد ، مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٦م، ص ١٥٦.

ويشير سيادته في الآية ذاتها إلى مناسبة تردد الأصوات الأنفية لغرض الدعاء، فيقول: " ولعلنا ندرك في السياق الصوتي للآية كلها ملمحًا صوتيًّا آخر، هو تردد الأصوات الأنفية (م=٢، ن=٧) ، والأصوات الأنفية أصوات رنانة، والأصوات الرنانة هي الأصوات التي تنتج بتشكيل التجويف للوترين الصوتيين الذي يجعل الجهر التلقائي ممكنًا، ولعل مثل هذه الأصوات الرنانة ذات اتصال بالإيحاء بجو هذا الدعاء، بما قد يداخله عند مس الضر من أنين وندم، ولا يفوتنا أن نشير إلى أمرين يستحقان العناية: أولهما: أن النون، مع زميلتها الأنفية الميم، أطول الحبيسات العربية، من حيث مدة الاستغراق الزمني للنطق بها، ولا ريب أن طول مدتها الزمنية السمعية؛ ممَّا يتواءم تمامًا مع طبيعة هذا الدعاء العريض، والآخر أن النون مع الميم صوت أغن، والغنة كما لاحظ الليث صوت فيه ترخيم نحو الخياشيم، وقد لحظ الخليل بن أحمد أن النون أشد الحروف غنة، وكان القدماء يجمعون بين المد واللين والنون وأنها تؤدي إلى وجود التمكن من التطريب، وكان سيبويه يؤكد أنهم إذا ترنموا يلحقون الألف والياء والنون؛ لأنهم أرادوا مد الصوت، ويتركون ذلك إذا لم يترنموا. إن هذه الصفات التي تتمتع بها النون تجعلها كذلك موائمة لطبيعة مثل هذا الدعاء العريض[١]".

(١) المفارقة القرآنية دراسة في بنية الدلالة، ص ١٥٨-١٥٩.

المبحث الأول

الدلالة الصوتية السياقية للمد الفرعي والغنة في سورة الملك.

يغيب المد الفرعي في مطلع سورة الملك (المقطع الدلالي الأول: الآيات الخمس الأولى)، ويتحدث هذا المقطع عن قدرة الله –تعالى– المطلقة في ملكه، وعظمته، ونفاذ أمره، ورحمته الواسعة وغفرانه، ومظاهر قدرته وحكمته في خلق الموت والحياة، ومظاهر عظمته في خلق السماوات السبع، وتزيينها بالنجوم، وجعل بعض النجوم رجومًا للشياطين، يقول الطاهر بن عاشور مبينًا موضوع مطلع السورة: "ابتُدِئت بتعريف المؤمنين معاني من العلم بعظمة الله –تعالى–، وتفرده بالملك الحق، والنظر في إتقان صنعه الدال على تفرده بالإلهية، فبذلك يكون في تلك الآيات حظ لعظة المشركين، ومن ذلك التذكير بأنه أقام نظام الموت والحياة؛ لتظهر في الحالين مجاري أعمال العباد في ميادين السبق إلى أحسن الأعمال ونتائج مجاريها، وأنه الذي يجازي عليها، وانفراده بخلق العوالم العليا خلقًا بالغًا غاية الإتقان فيما تراد له، وأتبعه بالأمر بالنظر في ذلك وبالإرشاد إلى دلائله الإجمالية، وتلك دلائل على انفراده بالإلهية[(١)]".

ومع بداية الحديث عن عذاب أهل النار (المقطع الدلالي الثاني: الآيات من ٦: ١١) يظهر المد الفرعي متكررًا خمس مرات؛ فيزداد الزمن الذي تُقرأ فيه هذه الآيات لفتًا لانتباه السامعين، وإحداثًا لهزات عنيفة في نفوس المخاطبين، وإدخالًا للخوف والرهبة في قلوبهم من المضمون الساطع بيانه للكلمات والتراكيب محل المد الفرعي، يتكرر المد في هذا السياق الذي يتناول مشهد إلقاء الكافرين في النار وتقريع الملائكة لهم وتوبيخهم بكفرهم، واعترافهم باستحقاقهم العذاب.

يقول الله –تعالى–: ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝٦ إِذَآ أُلْقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ۝٧ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِۖ كُلَّمَآ أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝٨ قَالُواْ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ۝٩ وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١٠ فَٱعْتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١١﴾ [المُلك: ٦ - ١١]

(١) التحرير والتنوير، (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، للطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤هـ، ٢٩/٧–٨.

ويحمل تكرار المد في هذا السياق دلالتين مركزيتين:

الدلالة الأولى: بُعد الكافرين في النار، فهم في عذاب سحيق شديد كمًّا وكيفًا، مكانًا وزمانًا، وهم خالدون فيه أبدًا، لا يخفف عنهم من عذابها، وهذا المد بهذه الدلالة يربط هذا السياق بسياقات العذاب المتكررة في القرآن الكريم تهويلًا وتفخيمًا وتخويفًا، فلا نكاد نسمع هذا المد حتى نستحضر صورة النار وعذابها وحرها وصراخ أهلها.

الدلالة الثانية: يحمل هذا المد بتكراراته الخمسة أيضًا دلالة شدة العذاب، وكأنه ينطق بتأوهات الكافرين وصرخاتهم الممطوطة الممدودة (آه...آه...آه) في النار من شدة العذاب، مستجيرين يحاولون الخلاص، ولكن لا خلاص لهم.

وفي كل موضع يظهر فيه المد الفرعي تظهر دلالة خاصة، وجميعها تصب في مجرى دلالي واحد، ففي الموضع الأول (إِذَآ أُلۡقُواْ) يتناسب المد الزائد مع فعل الإلقاء، فالإلقاء هو الطرح في النار، "كما يطرح الحطب في النار العظيمة ويرمى به[١]"، ولما كانت النار عظيمة ناسبها أن يكون الطرح والإلقاء من بعيد، "وفي إيراد الإلقاء دون الإدخال إشعارٌ بتحقيرهم، وكون جهنم سفلية[٢]"، وأنها بعيدة القعر، ويؤكد النص القرآني هذا المعنى بإعادة هذا المد داخلًا على فعل الإلقاء مرة أخرى في الموضع الثاني (كُلَّمَآ أُلۡقِيَ)، وفي الموضع الثالث (سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ...؟) يدل المد الزائد على تسفل أهل النار وبعد غورهم في النار؛ ممَّا استدعى أن يمد خزنة النار أصواتهم بالسؤال؛ ليصل إلى مسامعهم في قعر جهنم، وفي الموضع الرابع (قَدۡ جَآءَنَا نَذِيرٞ) يدل المد على رفع المعذبين أصواتهم؛ ليسمع الخزنة إجابتهم، كما يمكن أن يحمل المد تأكيدًا لاعترافهم بمجيء الرسول ﷺ وإنكارهم رسالته لومًا وتقريعًا لأنفسهم، وفي الموضع الخامس (فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ) يدل المد الفرعي بالياء (في أصحاب) ويعضده المد العارض للسكون بالياء (السعير) على تسفلهم وبعد مكانهم في النار، وقد جاء ختام هذه الآيات مناسبًا لدلالات المد الزائد في مواضعه الخمسة، فقد قال -تعالى-:(فَسُحۡقٗا لِّأَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ)، ومعناه

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، ضبطه وصححه ورتبه مصطفى حسين أحمد، دار الريان للتراث بالقاهرة – دار الكتاب العربي ببيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م، ٥٧٨/٤، وينظر: البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، طبعة جديدة بعناية صدقي محمد جميل وآخرين، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت– لبنان، د. ط، ١٤٢٠هـ– ٢٠٠٠م، ٢٢٣/١٠.

(٢) روح البيان لإسماعيل حقي (ت ١١٢٧هـ)، دار الفكر – بيروت، د.ت، د. ط، ٨٢/١٠.

كما ذكر ابن عباس ﷺ: "بعدًا لأصحاب السعير[١]"، ويقول الزجاج: "(سحقًا) منصوب على المصدر، والمعنى: أسحقهم الله سحقًا، أي: باعدهم الله من رحمته مباعدة، والسحيق: البعيد[٢]"، فهذا تقرير بحقيقة بُعد وتسفل الكافرين في النار.

وملمحٌ آخر في هذه الوحدة النصية الدلالية، وهو تكرار غنة الأصوات الأنفية الرنانة، فقد تكررت الغنة إحدى عشرة مرة، محدثة إطالة زمنية تضاف إلى الإطالة الزمنية المكتسبة من المد الفرعي في الآيات، كما أن هذه الغنات المتلاحقة تعكس أصوات الأنين والتوجع لأهل النار في العذاب، ويوضح الجدول التالي مواضع الغنة ومصادرها في هذه الآيات الخمسة.

مصدر الغنة	الإخفاء	الإقلاب	النون والميم المشددتين
مواضع الغنة	(فَوْجٌ سَأَلَهُمْ) – (نَذِيرٌ قَالُواْ)- (نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا)- (مِن شَيْءٍ)- (أَنتُمْ)- (ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ) - (فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ)	(بِذَنۢبِهِمْ)	(جَهَنَّمَ)- (كُنَّا) – (كُنَّا)

ثم ينتقل السياق القرآني في المقطع الثالث من السورة الكريمة (الآيات ١٢: ١٥) للحديث عن رحمة الله ﷻ بأهل الجنة وعلمه الواسع وفضله العظيم على الناس بتذليل الأرض لهم، وفي هذا السياق يختفي المد الفرعي، وقد ذكر الطاهر بن عاشور أن تمايز السياقات الدلالية بين هذا المقطع الجديد والمقطع السابق" جاء على سنن أساليب القرآن من تعقيب الرهبة بالرغبة، فلما ذكر ما أعد للكافرين المعرضين عن خشية الله أعقبه بما أعد للذين يخشون ربهم بالغيب من المغفرة والثواب للعلم بأنهم يترقبون ما يميزهم عن أحوال المشركين[٣]".

ولا يلبث أن يظهر المد الفرعي مرة أخرى في سياق جديد، وهو سياق التحذير والتخويف من عذاب الله –عز وجل–، يقول –تعالى–: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ

(١) غريب القرآن في شعر العرب، سؤالات نافع بن الأزرق إلى عبد الله بن عباس –رضي الله عنهما–، تحقيق محمد عبد الرحيم، وأحمد نصر الله، مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ– ١٩٩٣م، ص١٤٠.

(٢) معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (ت٣١١هـ)، شرح وتحقيق عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب– بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م، ١٩٩/٥.

(٣) التحرير والتنوير ٢٩/٢٩.

مِن قَبۡلِهِمۡ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ فَوۡقَهُمۡ صَٰٓفَّٰتٖ وَيَقۡبِضۡنَۚ مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحۡمَٰنُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءِۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾﴾ [المُلْـك : ١٦ - ١٩]. يتكرر المد الفرعي في هذه (الوحدة النصية الدلالية) ثلاث مرات، فيظهر في لفظ (السماء) مرتين؛ ليدل على استعلاء الله –عز وجل– بقدرته المطلقة على إيقاع العذاب بالكافرين؛ إما بخسف الأرض، أو بإرسال الحجارة تلقى على رءوسهم من السماء(١).

وقد ظهر المد الفرعي أيضًا في كلمة (صافَّات)؛ وهذا المد الفرعي الزائد في كلمة (صافات) يناسب تطويل الطائر جناحيه لأقصى حد في هذه الحالة من حالات الطيران (حالة بسط الأجنحة= الصف)، كما يوضح التطويل الزمني في نطق هذا اللفظ القرآني أيضًا أن الأصل في هذا اللون من الطيران (القبض والصف) هو الصف أو بسط الأجنحة، أما القبض فهو عملية وقتية طارئة، وقد التفت إلى هذا المعنى الزمخشري، وهو يعلل اختيار التعبير الاسم في (صافات) والتعبير بالفعل في (ويقبضن)، فيقول:" الأصل في الطيران هو صف الأجنحة؛ لأن الطيران في الهواء كالسباحة في الماء، والأصل في السباحة مد الأطراف وبسطها، وأمَّا القبض فطارئ على البسط للاستظهار به على التحرك، فجيء بما هو طارئ غير أصل بلفظ الفعل، على معنى أنهن صافات، ويكون منهن القبض تارة، كما يكون من السابح(٢)".

(١) ينظر: الهداية الى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، لمكي بن أبي طالب (ت ٤٣٧هـ)، مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م، ٤٢٤٧/٦، ويفسر الزمخشري الحاصب بأنها "الريح التي تحصب، أي: ترمي بالحصباء ... يرجمكم بها". تفسير الكشاف ٦٧٩/٢.

(٢) الكشاف ٥٨١/٤، وقد أفاض علماء الفيزياء وعلماء التشريح والطيران في بيان مدى الإعجاز في خلق الطيور وقدرتها على الطيران بدون أن تحرك أجنحتها لمسافات طويلة جدًّا مستغلة في ذلك التيارات الهوائية الصاعدة لتطير بأقل جهد ودون أن تبذل سوى قدر ضئيل من الطاقة في رحلتها، كما أنها تستطيع زيادة ارتفاعها دون رفرفة الجناح؛ وذلك بركوب التيارات الهوائية، ويساعدها في ذلك خصائص متفردة في بنيتها الجسدية العظمية والعضلية والريشية، كما تستفيد أسراب الطيور المهاجرة بالطيران على شكل الرقم (٨)؛ إذ يشكل كل طائر في هذا السرب منفذ هواء للطائر الذي خلفه، وهذا يحقق مقاومة الطائر الذي يأتي من خلفه لمواجهة هواء أقل، ويقلل استهلاك الطاقة، وهي حقيقة اكتشفها مهندسو الحركة الديناميكية للهواء، ولأن الطيران في الموقع الأول شاقٌ تتناوب الطيور هذه المهمة. ينظر: (أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات)، د. منير مصطفى البشعان، المؤتمر العالمي الثامن للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، متاح على: https://www.islamland.com

وثمة ملمح آخر في البنية الصوتية هذا اللفظ القرآني؛ إذ يتكون من أصوات مهموسة (الصاد، والفاء، والتاء)، وهذه الأصوات المهموسة تناسب حالة بسط الأجنحة؛ إذ يقل الاحتكاك بالهواء، وتقل درجة الصوت الناشئة عن حالة الطيران، ولما انتقل المولى –عز وجل– عن حالة الصف إلى الحالة الأخرى (القبض) رأينا كيف تكونت اللفظة من أصوات مجهورة (القاف، والباء، والضاد)؛ لتناسب ارتفاع الصوت الناتج من حركة رفرفة جناحي الطائر، وهكذا نجد أن كل لفظ يناسب صوتيًّا الواقع المسموع في حالة الطيران فعليًّا، وهذا الإعجاز القرآني في التنسيق بين دلالة اللفظ وأصواته المكونة له لا يمكن أن يرد في غير النص القرآني.

ثم يغيب المد الفرعي في آيتين تتحدثان عن عظمة الله – عز وجل– فهو غالب على أمره، وهو المتولي أمر إرسال الرزق، ثم يظهر المد الفرعي مرة أخرى في سياق التوبيخ والتقريع للكافرين، فيقول –تعالى–: ﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [المُلْك : ٢٢ - ٢٣]، ويظهر المد بعد ذلك في سياق الإنذار، فيقول –تعالى–: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾﴾ [المُلْك : ٢٥ - ٢٦]، وكذلك في سياق الذم والتوبيخ في قوله – تعالى–: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [المُلْك : ٢٧]، وكذلك في سياق التهديد بزوال النعمة، يقول –تعالى–: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾﴾ [المُلْك : ٣٠].

وخلاصة القول: إن سورة الملك تنقسم إلى عدة مقاطع دلالية، تترابط فيما بينها، فهي تتحدث عن مطلق قدرة الله – عز وجل–، فهو مالك الملك القادر على إثابة المطيعين وعقاب الكافرين المكذبين، وبين هذه المحورين (إثابة المؤمنين، وعقاب الكافرين) تتنقل آيات هذه السورة الكريمة، ويتنقل أيضًا ظهور المد الفرعي وغيابه.

ويظهر الجدول التالي تباين التشكيل الصوتي بين المحورين اللذين تتحدث عنهما السورة الكريمة: الحديث عن مظاهر الرحمة، وسعة العلم، وعظمة الفضل، والهداية والإيمان، والحديث عن العذاب والعقاب، والتحذير والتخويف، والتوبيخ والتقريع، والمباغتة بالعذاب.

سياقات غياب المد		سياقات المد	
الآيات	سياق الحديث	الآيات	سياق الحديث
(١: ٥)	مظاهر رحمة الله ﷻ وقدرته	(٦: ١١)	الحديث عن عذاب أهل النار واعترافهم باستحقاقهم إياه
(١١: ١٥)	رحمة الله ﷻ بأهل الجنة وعلمه الواسع وفضله العظيم	(١٦: ١٩)	سياق التحذير والتخويف من عذاب الله ﷻ
(٢٠: ٢١)	عظمة الله – عز وجل– فهو غالب على أمره، ومتول إرسال الرزق	(٢١-٢٦)	سياق توبيخ الكافرين وتقريعهم على اختيارهم الضلال
(٢٨: ٢٩)	حديث النبي عن نعمة الهداية بالإيمان والتوكل على الله	٢٧	مفاجأة الكافرين بالعذاب
		٣٠	التهديد بالعذاب بزوال نعمة الماء العذب

ومن خلال العرض السابق يتضح أن السياقات التي يظهر فيها المد الفرعي في هذه السورة الكريمة هي السياقات المتعلقة بالكافرين تخويفًا وتهديدًا ووعيدًا، وتقريعًا وتوبيخًا، وأخذًا بالعذاب، وبهذا يتضح جليًا أن ظهور المد الفرعي واختفاءه يتوزعان على محورين في هذه السورة الكريمة، وأن طول الزمن الصوتي لا يأتي خبط عشواء في القرآن الكريم، وإنما هو مرتبط تمام الارتباط بالسياقات الواردة فيه والمواقف التي يجليها الكتاب العزيز للمتلقي؛ ممَّا يعد إعجازًا لغويًا صوتيًا في القرآن الكريم.

المبحث الثاني

الدلالة الصوتية السياقية للمد الفرعي والغنة في سورة القلم

تفتتح سورة القلم بالقسم على نفي تهمة الجنون عن النبي محمد ﷺ، فيقول –تعالى–: ﴿نٓ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ۝٢﴾ [القَلَم: ١ - ٢]، ويتناسب مع الغاية التأكيدية للقسم أن تفتتح السورة بهذا المد الفرعي (نٓ)[١]، وإلحاقه بمد فرعي ثانٍ (مَآ أَنتَ)، فيحدث إطالة زمنية تنبيهًا على بشاعة التهمة التي وجهها الكافرون للنبي الكريم ﷺ، وتأكيدًا على قوة رد الله –عز وجل– على هذه التهمة حبًّا في رسول الله ﷺ، كما أن وحدة الفاصلة القرآنية للآيات في هذا السياق الدفاعي الممتد عن رسول الله ﷺ، وهي حرف النون، تحدث امتدادًا للتأكيد على بشاعة التهمة المدلول عليها بالمد الفرعي في مطلع السورة (نٓ).

ويظهر المد الفرعي أيضًا في سياق ذم الكافرين بعدة صفات ذميمة منها، ويقتصر ورود المد الفرعي على صفة **المشي بالنميمة**؛ وذلك في قوله –تعالى–: ﴿وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ فَيُدۡهِنُونَ ۝٩ وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٖ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ ۝١١﴾ [القَلَم: ٩ - ١١]، فهذه الصفة من البشاعة بمكان، بحيث تظهر هذه الصفة من بين الصفات المجاورة لها (حلاف– هماز– مناع– معتد– أثيم) من خلال الإطالة الزمنية بالمد الفرعي والغنة المصاحبة للإقلاب (مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ)، ويؤكد فظاعة هذه الصفة أن الله –تعالى– وصف النمام بأنه فاسق في قوله –تعالى–: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ۝٦﴾ [الحُجُرَات: ٦]، كما أن النبي الكريم ذم هذه الصفة ذمًّا كبيرًا، فقد جعل النبي ﷺ النمام شر الناس، فقال –صلى الله عليه وسلم–: " وَشِرَارُ عِبَادِ اللهِ المَشَّاؤُونَ بِالنَّمِيمَةِ، المُفَرِّقُونَ بَيْنَ الأَحِبَّةِ، البَاغُونَ البُرَآءَ الْعَنَتَ[٢]".

---

(١) المد في (نٓ) "من قبيل المد اللازم المثقل عند من أدغمها في واو ﴿وَٱلۡقَلَمِ﴾ [القَلَم: ١]، ومن قبيل المخفف عند من أظهرها عندها، وبالنسبة لحفص عن عاصم فمن المخفف؛ لأنه من المظهرين إذا قرئ له من طريق الشاطبية طريق العامة، وإذا قرئ له بالإدغام في أحد الوجهين عنه من طريق الطيبة فالمد من قبيل اللازم الحرفي المثقل؛ لأنه صار حينئذ من المدغمين... والقول باللازم الحرفي المخفف هنا، وكذلك المثقل مشروط بوصل (نٓ) بواو (وَٱلۡقَلَمِ)، أمَّا إذا وقف على (نٓ) وهو جائز، فالمد من قبيل اللازم الحرفي المخفف بالإجماع". هداية القاري إلى تجويد كلام الباري ٣٤٦/١.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، (٥٢١/٢٩)، (رقم: ١٧٩٩٨)، من حديث عبد الرحمن بن غَنْم ﷺ.

وعن النبي ﷺ أيضًا أنه مر بقبرين يعذبان، فقال: "إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنَ البَوْلِ، وَأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ[(١)]".

كذلك يُظهر المد الفرعي شدة الابتلاء واستطالته في قوله–تعالى–: (بَلَوْنَـآ أَصْـحَـٰبَ ٱلْجَنَّـةِ) في قصة أصحاب الجنة الظالمين في قوله –تعالى–: ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَـآ أَصْـحَـٰبَ ٱلْجَنَّـةِ إِذْ أَقْسَـمُواْ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَـٰٓئِمُونَ ﴿١٩﴾﴾ [القَلَـم : ١٧ - ١٩]، كما يظهر المدان الفرعيان في (طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُـمْ نَـٰٓئِمُونَ) شمول العذاب المرسل على هذه الجنة واستغراق أصحابها في النوم.

ويتكرر المد الفرعي في سورة القلم في الآيات التي تظهر تحسر أصحاب الجنة بسبب حرمانهم من جنتهم، فيقول–تعالى–: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَـمْ أَقُـل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُواْ سُبْحَـٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَـٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْـضٍ يَتَلَوَمُـونَ ﴿٣٠﴾ قَـالُواْ يَـٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَـٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [القَلَم : ٢٦ - ٣٢]، ولا شك أن الشعور بالحسرة والندم يجعل الإنسان يترنم في كلامه إظهارًا لهذا الشعور، وهذا هو ما يحدث في أسلوب الندبة؛ حيث يترنمون فيها، بإبدال ياء المتكلم ألفًا، ومن ذلك التراكيب القرآنية: (يَـٰحَسْـرَتَىٰ)، و(يَـٰوَيْلَتَىٰٓ)، و(يَـٰٓأَسَـفَىٰ)، حيث تفيد هذه التراكيب المبالغة في إظهار الشعور بالأسف والحزن[(٢)]، وللألف سمة صوتية انفتاحية تجعلها ملائمة لمثل هذه المعاني، ففي قوله –تعالى–: (قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ) يجتمع مدان فرعيان يطيلان زمن النطق بهذه الآية؛ وهو ما يظهر شدة حسرتهم في أثناء رؤيتهم جنتهم وقد أحرقت واسودت فصارت كالليل الصريم، كما يجتمع مع هذين المدين الفرعيين الغنة الدالة على الأنين والتوجع المصاحب للحسرة والندم.

وفي الموضع الثاني من هذا السياق قالوا: (سُبْحَـٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَـٰلِمِينَ)، فيجتمع المد مع تكرار الغنة مرتين؛ لزيادة الأنين والتوجع وللمبالغة في إظهار الندم لله –عز وجل–، وفي الموضع الثالث يقولون

(١) أخرجه البخاري في (صحيحه)، كتاب: الجنائز، باب: الجريد على القبر، (٤٥٨/١)، (رقم: ١٢٩٥)، من حديث ابن عباس –رضي الله عنهما–.

(٢) تحولات التركيب النحوي لتحقيق المبالغة الدلالية في القرآن الكريم (دراسة وصفية تحليلية)، محمد كمال محمد جاد، المجلة العلمية لكلية اللغة العربية بأسيوط، جامعة الأزهر، العدد ٤٣، الإصدار الرابع، نوفمبر، ٢٠٢٤م، ص١١٩–١٢٠.

(يَوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ)، فيتكرر النمط التركيبي للجملة السابقة من كلامهم، مع تكرار الإطالة نفسها بفعل المد الفرعي وتكرار الغنة مرتين أيضًا؛ لإظهار الندم الشديد والاعتراف بالذنب.

وفي نهاية القصة يأتي الدعاء والرجاء (عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ) بتكرار المد الفرعي ثلاث مرات يعضده ظهور الغنة مرتين؛ ليطول دعاؤهم وابتهالهم وتضرعهم لله –عز وجل– رجاء ورغبة منهم في أن يستجيب الله –تعالى– دعاءهم ويصرف عنهم البلاء ويعوضهم خيرًا من جنتهم البائدة.

وقد التفت الدكتور محمد المبارك إلى أنه "إذا كان الكلام دعاءً؛ جاءت المدود التي تكسب النغمة هدوءًا وطولًا، وتصور التأمل العميق ونداء المستغيث، كقوله –تعالى–: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾﴾ [آل عِمْرَان : ١٩١ - ١٩٤] (١)".

كذلك يظهر المد الفرعي في سياق توبيخ الكافرين على الشرك في قوله –تعالى–: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٤١﴾﴾ [القَلَم : ٤١] ، فقد تكرر المد مرتين في الكلمة ذاتها (شركاء) زيادة في التوبيخ والتقريع لهؤلاء المشركين، وللدلالة على استحالة نفع هؤلاء الشركاء من كانوا يعبدونهم، فهؤلاء الشركاء أبعد ما يكون عن نفعهم أو دفع الضر عنهم.

وكذلك يظهر المد الفرعي في سياق إظهار الله –تعالى– رحمته بنبيه يونس –عليه السلام– بعد أن يئس من استجابة قومه، ولجأ إلى البحر، ثم ألقى نفسه من السفينة، ويفيد المد تنبيه سيدنا يونس –عليه السلام– على خطئه حين يئس من نجاح دعوته، وذلك في قوله –تعالى–: ﴿لَّوْلَآ أَن تَدَارَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُۢبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾﴾ [القَلَم : ٤٩]، فيتكرر المد الفرعي مرتين، فيأتي في الموضع الأول إظهارًا لتمام النعمة ربه عليه ، وتمام النعمة" هو ما وفقه للتوبة والإنابة، وما قبل منه توبته، وكان له ألا يقبلها؛ إذ هو إنما أتى بالتوبة بعد أن صار إلى تلك المضايق، وابتلي بالشدائد وجاءه بأس

(١) دراسات أدبية لنصوص من القرآن، محمد المبارك، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت–لبنان، الطبعة الخامسة، ١٤١٩هـ– ١٩٩٨م، ص ١٥٤.

الله تعالى، ومن حكمه أنه لا يقبل التوبة بعد نزول العذاب والشدة، ألا ترى إلى قوله –تعالى–: ﴿رَأَوْاْ بَأْسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ﴾ [غَافِر: ٨٤] إلى قوله: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَاۖ﴾ [غَافِر: ٨٥]، فإذا قبل توبته، كان فيه عظيم نعمة من الله تعالى عليه[١]".

ويُظهِر المد الفرعي (بِـٱلْعَرَآءِ) في الموضع الثاني صعوبة الموقف الذي كان يقاسيه يونس –عليه السلام– من النبذ بالعراء الذي يجهد فيه الإنسان نفسه بالسير طويلا ولا يجد نجاة، "وهو المكان الخالي، ولو لم يتب الله –تعالى– عليه، لكان يلبث في بطنه إلى يوم يبعثون، ثم ينبذ بعد ذلك بالعراء، وهو مذموم، لكن الله –تعالى– تفضل عليه بقبول توبته؛ فنبذه بالعراء، وهو سقيم أي: محموم؛ فقوله: (لَنُبِـذَ بِـٱلْعَرَآءِ وَهُـوَ مَـذْمُومٌ)، لو عاقبه بالنبذ، ولكن إنما نبذ بالعراء بعد قبول التوبة؛ فلم يصر مذمومًا[٢]".

ويظهر الجدول التالي التباين في التشكيل الصوتي بظهور المد الفرعي وغيابه بين السياقات التي تتحدث عنها السورة الكريمة:

سياقات غياب المد الفرعي		سياقات ظهور المد الفرعي	
الآيات	سياق الحديث	الآيات	سياق الحديث
(٢–٨)	مدح النبي وبيان فضل الله ﷻ عليه.	(١–٢)	الدفاع عن النبي الكريم ضد اتهامات الكافرين.
(١٢–١٦)	أوصاف ذم للكافرين.	(٩–١١)	ذم الكافرين بصفات ذميمة خاصة النميمة.
(٣٤– ٤٠)	الفصل بين المؤمنين والكافرين.	(١٧– ٣٣)	سياق الابتلاء والحسرة والندم والدعاء.
(٤٢–٤٨)	عذاب الكافرين وهيئتهم يوم القيامة.	٤١	توبيخ الكافرين على اتخاذ الشركاء من دون الله.
(٥٠–٥٢)	اجتباء الله ليونس –عليه السلام– ومدح القرآن.	٤٩	رحمة الله بيونس –عليه السلام– بعد الابتلاء.

(١) تفسير الماتُرِيدي (تأويلات أهل السنة)، لأبي منصور الماتُرِيدي (ت ٣٣٣هـ)، تحقيق د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م، ١٥٨/١٠.

(٢) المرجع السابق، ١٥٨/١٠.

ومن خلال العرض السابق يتضح أن السياقات التي يظهر فيها المد الفرعي في هذه السورة الكريمة هي السياقات المتعلقة باتهام الكافرين للنبي الكريم ﷺ بالجنون، ودفاع المولى ﷻ عن نبيه ورسوله، وذم الكافرين بصفات ذميمة؛ إذ تم التأكيد على بشاعة صفة النميمة خاصة عن طريق المد الفرعي، وسياق ابتلاء أصحاب الجنة وإظهار الحسرة والندم والتضرع إلى الله –عز وجل– أن يبدلهم خيرًا منها، وهنا يتعاضد المد الفرعي والغنة في إظهار هذه الأنين والتوجع المصاحب للشعور باليأس والحسرة والندم، كما ورد في سياق توبيخ الكافرين على الشرك، وكذلك يظهر المد الفرعي في سياق رحمة الله بيونس –عليه السلام– بتداركه بنعمة الإنقاذ من بطن الحوت.

المبحث الثالث

الدلالة الصوتية السياقية للمد الفرعي والغنة في سورة الحاقة

تبدأ سورة الحاقة بالحديث عن يوم القيامة، فيقول –تعالى–: ﴿ٱلۡحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ۝٢ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ۝٣﴾ [الحَاقَّة : ١ - ٣]، فيتكرر المد الفرعي (المد اللازم المثقل) ثلاث مرات محدثًا إطالة زمنية للنطق بالكلمة تفخيمًا وتعظيمًا وتهويلًا، ومبرزًا لصوت القاف الشديد المشدَّد، والذي يناسب تفخيم موضوع السورة وتعظيمه، وهو الحديث عن يوم القيامة، وجاء اختيار هذا الاسم (الحاقة) للتعبير عن يوم القيامة مناسبًا دلاليًّا لما ورد في السورة من استحقاق المكذبين (ثمود وعاد وفرعون ومن كفر بدعوة نبينا محمد ﷺ) العذاب، واستحقاق المؤمنين الثواب، فقد جاء مطلع السورة ممهدًا ومعبرًا عن موضوعها في "ثلاث موجات متعاقبة، متدرجة في الطول، وكلها قصيرة، يتوالى فيها السؤال والاستفهام، وتتكرر فيها كلمة (الحاقة)، وهي الكلمة الجديدة التي تعبر هنا عن يوم القيامة والحساب، وتتكرر فيها هذه القاف المشددة التي تقرع السمع قرعًا، والمسبوقة بالمد الطويل الممهد لها، والمبرز لشدتها، والمختومة بالهاء التي تنطفئ عندها شدتها، إنها لمقدمة مثيرة من حيث معناها، ومن حيث نغمتها وجرسها، يتهيأ بها السامع كل التهيؤ للإصغاء، ويستعد لتلقي ما سيتلى عليه من أنباء[(١)]".

(١) دراسات أدبية لنصوص من القرآن، ص ٣٥، ويقول الدكتور محمد حسين الصغير: "هناك مقاطع صوتية مغرقة في الطول والمد والتشديد، وبالرغم من ندرة صيغة هذه المركبات الصوتية في اللغة العربية حتى أنها لتعد بالأصابع، فإننا نجد القرآن الكريم يستعمل أفخمها لفظا، وأعظمها وقعا، فنستوحي من دلالتها الصوتية مدى شدتها وهدتها، لتستنتج من ذلك أهميتها وأحقيتها بالتلبث والرصد والتفكير، من تلك الألفاظ: الحاقة، الطامة، الصاخة. وقد تأتي مجردة عن التعريف فتهتدي إلى عموميتها، مثل: دابة وكافة. هذه الصيغة صوتيًّا تمتاز بتوجه الفكر نحوها في تساؤل، واصطكاك السمع بصداها المدوي، وأخيرًا يتفاعل الوجدان معها مترقبا: الأحداث، المفاجئات، النتائج المجهولة. الحاقة والطامة والصاخة: كلمات تستدعي نسبة عالية من الضغط الصوتي، والأداء الجهوري لسماع رنتها، مما يتوافق مع نسبيا مع إرادتها في جلجلة الصوت، وشدة الإيقاع، كل ذلك مما يوضح مجموعة العلاقات القائمة في مثل هذه العائلة الصوتية الواحدة، فإذا أضفنا إلى ذلك معناها المحدد في كتاب الله –تعالى–، وهو يوم القيامة، خرجنا بحصيلة علمية تنتهي بمصاقبة الشدة الصوتية للشدة الدلالية بين الصوت والمعنى الحقيقي". الصوت اللغوي في القرآن، د. محمد حسين علي الصغير، دار المؤرخ العربي، بيروت– لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ–٢٠٠٠م، ص ١٦٨– ١٦٩.

ويشير الدكتور محمد المبارك إلى أن الموسيقى القرآنية "قد تكون ضربًا من الإثارة وأداة للتنبيه والمفاجأة وخاصة في العهد المكي الأول حين كان العربي سادرًا في غلوائه غير مستعد للإصغاء إلى الدعوة الجديدة، ومن أمثلة ذلك مقدمة سورة الحاقة: ﴿ٱلۡحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ۝٢ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ۝٣﴾ [الحَاقَّة: ١-٣]، وكذلك: ﴿ٱلۡقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ۝٣﴾ [القَارِعَة: ١-٣]، ثلاث موجات متعاقبة تكبر وتتسع متصاعدة في طولها ومدودها، وتتصف كل واحدة منها بالشدة والمد في وسطها، ويتعدد ذلك ويتكاثر في الثانية والثالثة، ويتناسب ذلك مع هول الموضوع الذي هو (يوم القيامة)، ومع هذه الاستفهامات المتوالية المشوقة لمعرفة الجواب[١]".

وهكذا يساعد المد الفرعي على إبراز الصوت المدوي (القاف المشدد)، مظهرًا قوة الأحداث وتواليها في شدة وقوة وعنف.

وتنتقل الآيات الكريمة في المقطع الثاني (الآيات من ٤: ١٠) إلى وصف العذاب الذي لحق بثمود وعاد، يقول –تعالى–: ﴿ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ وَعَادُۢ بِٱلۡقَارِعَةِ ۝٤ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهۡلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ ۝٥ وَأَمَّا عَادٞ فَأُهۡلِكُواْ بِرِيحٖ صَرۡصَرٍ عَاتِيَةٖ ۝٦ سَخَّرَهَا عَلَيۡهِمۡ سَبۡعَ لَيَالٖ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومٗاۖ فَتَرَى ٱلۡقَوۡمَ فِيهَا صَرۡعَىٰ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خَاوِيَةٖ ۝٧ فَهَلۡ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٖ ۝٨ وَجَآءَ فِرۡعَوۡنُ وَمَن قَبۡلَهُۥ وَٱلۡمُؤۡتَفِكَٰتُ بِٱلۡخَاطِئَةِ ۝٩ فَعَصَوۡاْ رَسُولَ رَبِّهِمۡ فَأَخَذَهُمۡ أَخۡذَةٗ رَّابِيَةً ۝١٠﴾ [الحَاقَّة: ٤-١٠]، ولا يظهر المد الفرعي الزائد في هذا المقطع، وجاء ذلك مناسبًا لشكل العذاب الذي لحق بهم (الصيحة الطاغية، والريح الصرصر العاتية، والأخذة الرابية)، فغياب المد هنا مناسب لسرعة أنماط العذاب الواردة؛ إذ تتسم الصيحة بالسرعة، فإن " العذاب الذي أصابهم من قبيل القرع نزلت عليهم صاعقة أو صواعق فأهلكتهم ... وإنما سميت الصاعقة أو الصيحة بالطاغية؛ لأنها كانت متجاوزة الحال المتعارف في الشدة، فشُبه فعلها بفعل الطاغي المتجاوز الحد في العدوان والبطش[٢]".

(١) دراسات أدبية لنصوص من القرآن، ص ١٥٣.

(٢) التحرير والتنوير ١١٦/٢٩.

وكذلك تتسم الريح الصرصر العاتية بسرعة الهبوب، فهي "في غاية ما يكون من شدة البرد والصوت، كأنه كرر فيها البرد حتى صار يحرق بشدته، والصوت حتى صار يصم بقوته ... مجاوزة للحد من شدة عصفها وعظمة قصفها تفعل أفعال المستكبر الذي لا يبالي بشيء فلم يستطع خزانها ضبطها، ولم يملك المعذب بها ردها ولا ربطها، بل كانت تنزعهم من مكامنهم التي احتفروها ومصانعهم التي أتقنوها واختاروها فتهلكهم[١]"، وأيضًا نجد أن الأخذة الرابية بالغرق تتميز بسرعة ارتداد الماء، وكل هذه الأشكال السريعة من العذاب يتسم بسرعة الأثر في إهلاك الكافرين، فقد كانت تلك الأخذة" عالية عليهم علية القدر في قوة البطش وشدة الفتك، زائدة على الحد، نامية بقدر زيادة أعمالهم في القبح [٢]".

وحين انتقل الله – عز وجل– إلى امتنانه على البشر بنجاة سيدنا نوح –عليه السلام– ومن آمن معه بالنجاة من الطوفان ظهر المد الفرعي مرتين، فقال–تعالى–: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾﴾ [الحَاقَّة : ١١ - ١٢].

ويناسب المد الفرعي في الموضع الأول (طَغَا ٱلْمَآءُ) دلالة كون الماء مستعرضًا مستطيلًا يملأ الأرض، كما ناسب الفعل (طغا) أيضًا هذا المعنى، فدلالة الفعل (طغا) مع المد الفرعي يتعاضدان في هذه الآية لإبراز معنى الامتنان بالنجاة من طوفان الماء الطاغي، ثم يظهر المد الفرعي مرة أخرى في (وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ)؛ ليناسب الدلالة على عمق العظة والاعتبار بهذا الأمر، وعمق المنة التي امتن الله بها على البشر، فإن نجاة نوح –عليه السلام– كانت نجاة للبشرية كلها، فإن "قوم نوح هم الناس الذين كانوا عامرين الأرض يومئذ؛ إذ لا يوجد غيرهم على الأرض[٣]". ويقول البقاعي في هذا الصدد من امتنان الرحيم الرحمن: "ولما كان الإيجاد نعمة، فكان إنجاء آبائهم من الغرق حتى كان ذلك سببًا لوجودهم نقمة عليهم، قال –تعالى–: (حملناكم) أي: في ظهور آبائكم بعظمتنا ومشيئتنا وقدرتنا ...، وأغرقنا سوى من في السفينة من جميع أهل الأرض من آدمي وغيره[٤]".

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي (ت ٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت، ٣٤٣/٢٠–٣٤٤، وينظر: الهداية الى بلوغ النهاية ٧٦٦٤/١٢.

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٣٤٩/٢٠.

(٣) التحرير والتنوير ٢٩/ ١٨٧

(٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٣٥٠/٢٠

وفي المقطع التالي يوضح المولى –عز وجل– سرعة التحول إلى يوم القيامة، ومفاجأة أهل الأرض به[١]، فناسب غياب المد الفرعي دلالة سرعة التحول في أحداث القيامة والانتقال من حدث لآخر، يقول –تعالى–: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ ١٣ وَحُمِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَٱلۡجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةٗ وَٰحِدَةٗ ١٤ فَيَوۡمَئِذٖ وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ١٥﴾ [الحَاقَّة : ١٣ - ١٥]

ثم يأتي الحديث عن مظهر من مظاهر عظمة يوم القيامة ومصير الكافرين والمؤمنين فيه، فيقول–تعالى–: ﴿ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوۡمَئِذٖ وَاهِيَةٞ ١٦ وَٱلۡمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَاۚ وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ ١٧ يَوۡمَئِذٖ تُعۡرَضُونَ لَا تَخۡفَىٰ مِنكُمۡ خَافِيَةٞ ١٨ فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ١٩ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ ٢٠ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ٢١ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ ٢٢ قُطُوفُهَا دَانِيَةٞ ٢٣ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ ٢٤ وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ ٢٥ وَلَمۡ أَدۡرِ مَا حِسَابِيَهۡ ٢٦ يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ ٢٧ مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ٢٨ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ ٢٩﴾ [الحَاقَّة : ١٦ - ٢٩]، ويتكرر المد الفرعي في هذا المقطع الدلالي سبع مرات، وفي كل موضع يظهر فيه المد الفرعي تظهر دلالة خاصة، ففي الموضع الأول (ٱلسَّمَآءُ) يتناسب المد الزائد مع قوة الفعل الإلهي بانشقاق السماء يوم القيامة، ويعضده التعبير بالفعل (ٱنشَقَّتِ)، وكذلك قوة النتيجة المترتبة على قوة الفعل والتي يدل عليها لفظ (وَاهِيَةٞ)، وفي الموضعين الثاني والثالث للمد الفرعي في هذا المقطع الدلالي (عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَاۚ) يوضح المد الفرعي المتكرر مرتين دلالة الانتشار الكبير العظيم للملائكة على أرجاء السماء، وفي الموضع الرابع (هَآؤُمُ) يظهر المد الفرعي السعادة الكبيرة والفرحة العارمة بحسن الثواب، وفي الموضعين الخامس والسادس (هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ) يدل المد الفرعي على عظم الثواب وعظم السعادة به وعظم الفعل المُثاب عليه، وفي الموضع السابع (مَآ أَغۡنَىٰ) يظهر المد الفرعي شدة الحسرة والندم؛ كما يحمل المد تأكيدًا لاعترافهم بخطئهم حين ظنوا أن وفرة المال أو عظمة السلطان قد تقيهم سوء العذاب.

(١) يقول –تعالى– في هذا المعنى: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَاۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّيۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقۡتِهَآ إِلَّا هُوَۚ ثَقُلَتۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَا تَأۡتِيكُمۡ إِلَّا بَغۡتَةٗۗ﴾ [الأَعْرَاف : ١٨٧].

ويتعاضد مع المد الفرعي في هذا المقطع الدلالي صوت الغنة (١٢ غنة)؛ لإحداث الإطالة الصوتية إظهارًا لعظمة الموقف، وفرحة المؤمنين بالثواب، وحسرة الكافرين بما سيلاقونه من العذاب.

مصدر الغنة	الإدغام بغنة (الناقص)	الإخفاء	الإقلاب	الميم والنون المشددتين
مواضع الغنة	يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ	يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ - يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ- مِنكُمْ-	هَنِيٓـًٔا بِمَآ	فَأَمَّا- أَنِّي- أَنِّي- جَنَّةٍ- وَأَمَّا- عَنِّي

ويغيب المد الفرعي في خطاب الملائكة بتقييد الكافرين وجرهم إلى العذاب، يقول –تعالى–: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝٣٠ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۝٣١ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ۝٣٢ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ۝٣٣ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣٤ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ۝٣٥ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ۝٣٦﴾ [الحَاقَّة : ٣٠ - ٣٦]، ويظهر المد الفرعي في آخر المقطع السابق في سياق الحديث عن طعام أهل النار في قوله –تعالى–: ﴿لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ۝٣٧﴾ [الحَاقَّة : ٣٦]؛ ليصور لنا المد معنى المداومة والاستمرار في تناول هذا الطعام الذميم وهو "ما يسيل من صديد أهل النار[١]"، يتجرعونه ولا يكادون يسيغونه.

ويظهر المد الفرعي أيضًا في مطلع المقطع التالي في القسم ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ۝٣٨ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ۝٣٩ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [الحَاقَّة : ٣٨ - ٤٠] إلى آخر السورة؛ ليجذب القسم الممدود مدًّا زائدًا انتباه المتلقين إلى أهمية ما يُلقى إليهم من تعظيم شأن نبينا محمد ﷺ وتعظيم أمر القرآن الكريم.

(١) تفسير الطبري، (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، لابن جرير الطبري (٣١٠هـ)، تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر، د. عبد السند حسن يمامة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان – القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ –٢٠٠١م، ٢٣/٢٤٠.

ويُبين الجدول التالي التباين في التشكيل الصوتي بظهور المد الفرعي وغيابه بين السياقات التي تتحدث عنها السورة الكريمة:

سياقات غياب المد الفرعي		سياقات ظهور المد الفرعي	
الآيات	سياق الحديث	الآيات	سياق الحديث
(٤-١٠)	عذاب ثمود وعاد وفرعون.	(١-٣)	الحديث عن عظم يوم القيامة.
(١٣-١٥)	أهوال القيامة المتعلقة بالأرض والجبال.	(١١-١٢)	الطوفان ونجاة آدم ونعمة النجاة للبشر.
(٢٩-٣٦)	جر الكافرين والإسراع بهم إلى النار.	(١٦-٢٩)	الحديث عن أهوال القيامة (انشقاق السماء) وجزاء المؤمنين وحسرة الكافرين.
(٣٩-٥٢)	تعظيم أمر النبي ﷺ والقرآن الكريم	٣٧	طعام أهل النار.
		٣٨	القسم على أن القرآن من الله.

ومن خلال العرض السابق يتضح أن السياقات التي يظهر فيها المد الفرعي في هذه السورة الكريمة هي السياقات المتعلقة بالحديث عن عظم يوم القيامة؛ إذ تم التأكيد على معنى لفظ (الحاقة) من أنه يوم إحقاق الحق باستحقاق الكافرين المكذبين العذاب، وسياق الامتنان على البشر بنعمة النجاة من الطوفان العارم، كما ورد المد الفرعي في سياق انشقاق السماء وتنزل الملائكة بوصفه مظهرًا من مظاهر عظمة يوم القيامة، وكذلك يظهر المد الفرعي في سياق مداومة أهل النار على الطعام من غسلين، وأخيرًا يظهر في سياق التأكيد على صدق ما أُرسل به النبي الكريم.

المبحث الرابع

الدلالة الصوتية السياقية للمد الفرعي والغنة في سورة المعارج

لا يظهر المد الفرعي في النصف الأول من سورة المعارج (الآيات ١: ٢٢) إلا في أربعة مواضع، ويقوم المد الفرعي في كل موضع بإبراز دلالة معينة، ففي الموضع الأول (سَآئِلٌ) في قوله –تعالى–: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ [المَعَارِج : ١] يبرز المد الفرعي مداومة السائل على هذا السؤال، والسؤال هنا ليس مجرد استفهام أو دعاء، بل يرتبط بمعنى الإنكار والتعريض بالتكذيب والتهكم والتعجيز والاستعجال بالعذاب والإلحاح في ذلك، يقول الطاهر بن عاشور في هذا الصدد: "والسؤال مستعمل في معنى الاستفهام عن شيء والدعاء، على أن استفهامهم مستعمل في التهكم والتعجيز، ويجوز أن يكون (سأل سائل) بمعنى: استعجل وألح[١]"، ومما يؤكد معنى الاستعجال والإلحاح تعدي الفعل (سأل) بالباء[٢]، وهكذا يناسب المد الفرعي هذه الدلالات المتمادية في الكفر والضلال.

ويتناسب المد الفرعي في الموضع الثاني (ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ) من قوله –تعالى–: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝٤﴾ [المَعَارِج : ٤] مع دلالة تناهي العظمة بالعروج إلى السماوات العلا وقطع المسافات الطويلة في هذا المقدار الزمني الطويل (خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ)، ويرى بعض المفسرين أن الملائكة "تصعد من منتهى أمره من أسفل الأرض السابعة، إلى منتهى أمره من فوق السماوات السبع[٣]".

ويذهب بعض المفسرين إلى أن هذه المعارج ليست معارج مادية، بل هي منازل من الرفعة الاعتبارية ترتقي فيها الملائكة وجبريل –عليه السلام– وأرواح أهل الجنة على اختلاف درجاتها، فهذه المعارج "تقريبات لنهاية عظمة تلك المنازل وارتقاء أهل العالم الأشرف إليها[٤]".

---

(١) التحرير والتنوير ١٥٤/٢٩

(٢) يذهب الزمخشري إلى أنه "ضمن (سأل) معنى دعا، فعُدِّي تعديته، كأنه قيل: دعا داع بعذاب واقع من قولك: دعا بكذا إذا استدعى وطلبه". تفسير الكشاف ٦٠٨/٤، وبهذه التعدية يصلح الفعل لمعنى الدعاء والاستعجال.

(٣) تفسير الطبري ٢٥١/٢٣.

(٤) التحرير والتنوير ١٥٧/٢٩، ويقول الإمام الفخر الرازي: "المراد الانتهاء إلى موضع العز والكرامة... ويكون هذا إشارة إلى أن دار الثواب أعلى الأمكنة وأرفعها". تفسير الرازي، (مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير)، للفخر الرازي (ت ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ، ٦٣٩/٣٠.

ثم يظهر المد في الموضع الثالث في وصف أحداث يوم القيامة: ﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ۝٨﴾ [المَعَارِج : ٨]، فالمد في (ٱلسَّمَآءُ) مرتبط بدلالة تحول السماء ذات الطول والعرض الممتدين إلى ما لا يعلمه إلا الله إلى حالة الذوبان، وقد اختلفت أقوال المفسرين في (المهل)، فقد "قيل: المهل: عكر الزيت، وهو دردِيُّه؛ فجائز أن يكون هذا على التحقيق، وهو أنها تتغير في ذلك اليوم من لون إلى لون، فتحمر مرة، وتصفر أخرى؛ لشدة هول ذلك اليوم، فتكون كدردي الزيت لينًا ولونًا متغيرًا من حال إلى حال، وجائز ألا يحل بها التغير، ولكن شدة ما ينزل بالمرء من الهول والفزع يضعف بصره حتى يرى السماء على خلاف اللون الذي هي عليه، وهو كما يرى المرء إذا حل به الضعف والمرض في الشاهد، ووجد طعم الأشياء على خلاف ما هي عليها؛ فيكون في ذكر هذا تهويل وتفزيع أن هول ذلك اليوم شديد لا تقوم لهوله السماوات والأرضون مع صلابتها وغلظها في نفسها، فكيف يقوم لهولها الآدمي الموصوف بالضعف واللين. وجائز أن تكون على ما ذكرنا أنها تصير شبيهة بالمهل؛ للينها ورخاوتها، وهو أنها تلين وترخو من هول ذلك اليوم حتى تصير السماء كالمهل، والجبال كالعهن؛ فيكون في هذا -أيضًا- تهويل؛ ليرجعوا عما هم عليه ويقبلوا على عبادة الله -تعالى-، ويتسارعوا إلى طاعته[١]".

وكذلك يظهر المد الفرعي في وصف النار وزجر الكافرين: ﴿كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ۝١٥﴾ [المَعَارِج : ١٥]، ويتناسب المد الفرعي مع دلالات حرف الإبطال (كلا) وما يفيده من دلالتي الردع والزجر، وإبطال أمنية الكافرين في الافتداء والنجاة، فهي " لإبطال ما يخامر نفوس المجرم من الودادة ... فالتقدير: يقال له كلا، أي: لا افتداء ولا إنجاء، وجملة إنها لظى استئناف بياني ناشئ عما أفاده حرف (كلا) من الإبطال، وضمير (إنها) عائد إلى ما يشاهده المجرم قبالته من مرأى جهنم[٢]"، والإطالة الزمنية الواردة في هذا السياق بالمد الفرعي والغنة تحقق التنبيه إلى هذه المعاني التي تجعل الكافرين في حالة يأس تام من الافتداء والنجاة.

وفي النصف الثاني من سورة المعارج (الآيات ٢٣ : ٤٤) يتكاثف ورود المد الفرعي، فيتكرر ٨ مرات في بيان صفات المؤمنين: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ۝٢٣ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۝٢٤ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ۝٢٥ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٢٦ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ۝٢٧ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ

(١) تفسير الماتريدي ٢٠٠/١٠.

(٢) التحرير والتنوير ١٦٢/٢٩.

مَأْمُونِ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [المَعَارِج : ٢٣ - ٣٥].

ويتناسب تكرار المد الفرعي في هذه المقطع مع دلالة مدح المؤمنين بصفات معينة؛ إذ مدحهم الله – تعالى– **بصفة المداومة المستمرة** على أعمال البر والتقوى والصلاح في حياتهم الدنيا، وهي: المداومة على الصلاة، والمداومة على إخراجهم الزكاة لمستحقيها، والمداومة على حفظ فروجهم، وحفظ أماناتهم وعهودهم، والمداومة على إقامة الشهادة لله، ثم تختم الآيات بالمد الفرعي (أُوْلَٰٓئِكَ)؛ لتدل على علو منزلة هؤلاء الأبرار عند الله وعلو نزلهم في الجنة؛ لأنهم "جاهدوا أنفسهم، وحملوها على المكاره، وظلّفوها عن الشهوات[١]".

وكذلك يظهر المد الفرعي أيضًا في سياق إبطال استهزاء الكافرين بوعد الله للمؤمنين بنيل النعيم في الآخرة، وزعمهم أنهم سيدخلونها قبلهم، والتهديد والوعيد لهم بالإفناء والإتيان بخلق جديد يحمل الخيرية التي لم يحملوها، ويتكرر المد الفرعي ٣ مرات: ﴿كَلَّآ ۖ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾﴾ [المَعَارِج : ٣٩ - ٤١].

ففي الموضع الأول (كَلَّآ ۖ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ) يناسب المد الفرعي في حرف الردع والزجر والتنبيه (كلا) مع إرادة الحق –سبحانه وتعالى– إبطال ادعاء الكافرين، فهذا المد يظهر التعنيف في الرد على رغبة المجرمين، وإبطال مطامعهم في دخول الجنة، وتفنيد مزاعمهم في إنكار البعث، فقد" كان المشركون يحتفون حول النبي –صلى الله عليه وسلم– حلقًا حلقًا وفرقًا فرقًا، يستمعون ويستهزءون بكلامه، ويقولون: إن دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد فلندخلنها قبلهم ... (كَلَّا) ردع لهم عن طمعهم في دخول الجنة، ثم علل ذلك بقوله (إِنَّا خَلَقْناهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ) إلى آخر السورة، وهو كلام دال على إنكارهم البعث، فكأنه قال: كلا إنهم منكرون للبعث والجزاء، فمن أين يطمعون في دخول الجنة؟ فإن قلت: من أي وجه دل هذا الكلام على إنكار البعث؟ قلت: من حيث أنه احتجاج عليهم بالنشأة الأولى، كالاحتجاج بها عليهم في مواضع من التنزيل، وذلك قوله: (خَلَقْناهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ)، أي: من النطف، وبالقدرة على أن يهلكهم ويبدل ناسًا خيرًا منهم، وأنه ليس بمسبوق على ما يريد تكوينه لا يعجزه شيء،

(١) تفسير الكشاف ٦١٢/٤.

والغرض أن من قدر على ذلك لم تعجزه الإعادة. ويجوز أن يراد: إنا خلقناهم مما يعلمون، أي: من النطفة المذرة، وهي منصبهم الذي لا منصب أوضع منه[١]".

ثم يتكرر المد الفرعي في الموضعين الثاني والثالث في سياق القسم على قدرة الله –عز وجل– على إفنائهم وإهلاكهم والإتيان بخير منهم يطيعونه ولا يعصونه، ويتبعون أمر النبي الكريم ﷺ[٢]، وهذا على سبيل التهديد والوعيد[٣].

ومن خلال العرض السابق يتضح أن السياقات التي يظهر فيها المد الفرعي في هذه السورة الكريمة هي السياقات المتعلقة بالحديث عن تهكم الكافرين بالعذاب واستعجالهم به؛ إذ تم التأكيد على معنى الإلحاح من خلال المد الفرعي في اسم الفاعل (سائل)، وسياق عروج الملائكة إلى الله ﷻ، كما ورد المد الفرعي في سياق تحول السماء يوم القيامة لينًا ولونًا، كما ورد المد الفرعي في سياق مدح المؤمنين بالمداومة على أعمال البر، وكذلك في سياق استهزاء الكافرين بالنبي والمؤمنين وإنكارهم البعث، والاحتجاج عليهم بالنشأة الأولى، والمقدرة على تبديلهم والإتيان بغيرهم يطيعون الله ورسوله ﷺ.

(١) تفسير الكشاف ٤/ ٦١٤، وينظر: البحر المحيط ٢٧٦/١٠، والتحرير والتنوير ٢٩/ ١٧٥–١٧٦.

(٢) ينظر: الهداية الى بلوغ النهاية ٧٧٢٢/١٢.

(٣) تفسير الرازي ٦٤٨/٣٠.

المبحث الخامس

الدلالة الصوتية السياقية للمد الفرعي والغنة في سورة نوح

يظهر المد الفرعي في سورة نوح في سياقات ثلاثة:

السياق الأول: سياق التكليف بالدعوة.

السياق الثاني: سياق الحث على اتباع الهدى.

السياق الثالث: سياق طول الإعراض والإنكار.

تستفتح سورة نوح بالحديث عن تكليف الله –عز وجل– لسيدنا نوح –عليه السلام– بدعوة قومه إلى عبادة الله الواحد الأحد، وتماديهم في عصيانهم وإعراضهم عن دعوة نبيهم، وحرص سيدنا نوح – عليه السلام على ترغيبهم في الإيمان بالله وحده، وفي هذا السياق يتكرر المد الفرعي بصورة تتلاءم وتتناسب مع طول مدة الدعوة، والحرص على الترغيب، والتمادي في الإعراض.

يقول –تعالى– : ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ٢ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ٣ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۚ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٤ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا ٥ فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارٗا ٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ جَعَلُواْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا ٧ ثُمَّ إِنِّي دَعَوۡتُهُمۡ جِهَارٗا ٨ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا ٩ فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ١٠ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ١١ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ١٢﴾ [نوح : ١ - ١٢] ، ففي هذا المقطع الدلالي (الترغيب بالإيمان) يتكرر المد الفرعي تسع مرات، وهو في كل موضع يؤكد دلالة خاصة، لكن مجموع هذه الدلالات تصب في مجرى دلالي واحد، وتتعاضد لبيان طول معاناة سيدنا نوح –عليه السلام– في دعوة قومه للإيمان بالله، وشدة حرصه على إبلاغهم دعوة الله –عز وجل–، وشدة عصيانهم وتماديهم في الضلال وإصرارهم على عبادة الأصنام؛ ليكون العذاب الواقع بهم مستحقًا كما سيظهر في آخر السورة.

ففي الموضعين الأول والثاني (إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ) يدل المد الفرعي على طول مدة رسالة سيدنا نوح –عليه السلام–، كما يدل على عظمة هذه الرسالة، فالمد هنا منصب بدلالة حرف التأكيد (إنا) على الإرسال المسند إلى ضمير العظمة (نا)؛ ما يظهر عظمة المكلف ، وهو الله – عز وجل–، وعظمة المكلف بالرسالة، وهو سيدنا نوح –عليه السلام– أحد أولي العزم من الرسل، وعظمة التكليف بالدعوة إلى عبادة الله الواحد الأحد.

وفي الموضعين الثالث والرابع (وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۚ) يدل المد الفرعي على شدة الترغيب في الإيمان بإظهار حسن الثواب، وهو إطالة البقاء بعدم الإهلاك والإفناء، "فهو وعد بخير دنيوي يستوي الناس في رغبته، وهو طول البقاء فإنه من النعم العظيمة؛ لأن في جبلة الإنسان حب البقاء في الحياة على ما في الحياة من عوارض ومكدرات... والمعنى: ويؤخركم فلا يعجل بإهلاككم جميعًا، فيؤخر كل أحد إلى أجله المعين له على تفاوت آجالهم[١]"، وفي تفسير الماتريدي أنه: "جائز أن يكون أولئك القوم كانوا يخافون على أنفسهم الإهلاك من قومهم بإيمانهم وإجابتهم لنوح –عليه السلام–؛ فيخرج قوله: (وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ) مخرج الأمان لهم أنهم بإيمانهم يبقون إلى الأجل الذي ضرب لهم لو لم يؤمنوا؛ إذ يكون معناه: أنكم إن أسلمتم بقيتم إلى انقضاء أجلكم المسمى سالمين آمنين، لا يتهيأ لعدوكم أن يمكر بكم[٢]"، وذهب الزمخشري إلى أن الأجل المسمى هو بلوغ تمام الألف[٣]، فالمد الفرعي بهذه التأويلات يناسب طول مدة الأجل، فهي مناسبة صوتية لإطالة واقعية.

وفي الموضعين الخامس والسادس (فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارٗا) يدل المد الفرعي على طول دعوة سيدنا نوح –عليه السلام– لقومه، وشدة إعراضهم، ويوضح الطاهر بن عاشور في هذه الآية الكريمة جملة من فنون علمي البيان والمعاني تؤكد قوة الإعراض، وهي: استعارة الفرار للإعراض، والاستثناء المنقطع، وإسناد زيادة الفرار إلى الدعاء، وتأكيد الشيء بما يشبه ضده، فيقول: "ومعنى فلم يزدهم دعائي إلا فرارًا أن دعائي لهم بأن يعبدوا الله وبطاعتهم لي لم يزدهم ما دعوتهم إليه إلا بعدًا منه، فالفرار مستعار لقوة الإعراض، أي فلم يزدهم دعائي إياهم قربًا مما أدعوهم إليه. واستثناء الفرار من عموم الزيادات استثناء منقطع. والتقدير: فلم يزدهم دعائي قربًا من الهدى، لكن زادهم فرارًا كما في قوله تعالى حكاية عن صالح –عليه السلام–: ﴿فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيۡرَ تَخۡسِيرٖ ٦٣﴾ [هود: ٦٣]. وإسناد زيادة

(١) التحرير والتنوير ١٨٩/٢٩، وينظر: تفسير الطبري ٢٩٠/٢٣.

(٢) تفسير الماتريدي ٢٢٢/١٠.

(٣) تفسير الكشاف ٦١٥/٤.

الفرار إلى الدعاء مجاز؛ لأن دعاءه إياهم كان سببًا في تزايد إعراضهم وقوة تمسكهم بشركهم ... ولما كان فرارهم من التوحيد ثابتًا لهم من قبل كان قوله: فلم يزدهم دعائي إلا فرارًا من تأكيد الشيء بما يشبه ضده[١]".

وفي الموضعين السابع والثامن (جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ) يدل المد الفرعي على طول إعراضهم عن الحق والمبالغة في هذا الإعراض؛ فإنهم "كانوا يجعلون أصابعهم في آذانهم ويغطون وجوههم ورءوسهم؛ كي لا يسمعوا كلامه فيقع شيء منه في قلوبهم؛ لما حذرهم رؤساؤهم عن ذلك[٢]"، وعبر عن الأنامل بالأصابع؛ "للمبالغة في إرادة سد المسامع بحيث لو أمكن لأدخلوا الأصابع كلها ... واستغشاء الثياب: جعلها غشاء، أي: غطاء على أعينهم؛ تعضيدًا لسد آذانهم بالأصابع؛ لئلا يسمعوا كلامه ولا ينظروا إشاراته، فيجوز أن يكون جعل الأصابع في الآذان واستغشاء الثياب هنا حقيقة بأن يكون ذلك من عادات قوم نوح إذا أراد أحد أن يظهر كراهية لكلام من يتكلم معه أن يجعل أصبعيه في أذنيه ويجعل من ثوبه ساترًا لعينيه، ويجوز أن يكون تمثيلًا لحالهم في الإعراض عن قبول كلامه ورؤية مقامه بحال من يسك سمعه بأنملتيه ويحجب عينيه بطرف ثوبه[٣]".

وفي الموضع التاسع (ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ) يدل المد الفرعي على تأكيد طول الجهر بالدعوة بعد الإسرار بها، فقد "ارتقى فذكر أنه جمع بين الجهر والإسرار؛ لأن الجمع بين الحالتين أقوى في الدعوة وأغلظ من إفراد إحداهما... والمعنى: أنه توخى ما يظنه أوغل إلى قلوبهم من صفات الدعوة، فجهر حين يكون الجهر أجدى مثل مجامع العامة، وأسر للذين يظنهم متجنبين لوم قومهم عليهم في التصدي لسماع دعوته، وبذلك تكون ضمائر الغيبة في قوله دعوتهم، وقوله: أعلنت لهم وأسررت لهم موزعة على مختلف الناس[٤]"، ويرى الماتريدي أنه "جائز أن يكون الجهر والإسرار منصرفًا إلى الدعوة، ويكون الإعلان إعلانًا بالحجج وإظهارًا للبينات[٥]"، وذهب مكي بن أبي طالب إلى أن معناه: "وصِحت بالذي أمرتني به من الإنذار[٦]".

---

(١) التحرير والتنوير ١٩٤/٢٩.

(٢) تفسير الماتريدي ٢٢٤/١٠.

(٣) التحرير والتنوير ١٩٥/٢٩-١٦٠.

(٤) المرجع السابق ١٩٧/٢٩.

(٥) تفسير الماتريدي ٢٢٥/١٠.

(٦) تفسير الطبري ٢٩٢/٢٣، وينظر: الهداية الى بلوغ النهاية ٧٧٣٣/١٢.

وتدل كل هذه المعاني على شدة الإعراض من قوم نوح، وشدة تحمل سيدنا نوح واتخاذه كل السبل لمحاولة هدايتهم، فقد "فعل –عليه الصلاة والسلام– كما يفعل الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر: في الابتداء بالأهون والترقي في الأشد فالأشد، فافتتح بالمناصحة في السر، فلما لم يقبلوا ثنى بالمجاهرة، فلما لم تؤثر ثلث بالجمع بين الإسرار والإعلان، ومعنى ثُمَّ الدلالة على تباعد الأحوال؛ لأن الجهار أغلظ من الإسرار، والجمع بين الأمرين، أغلظ من إفراد أحدهما[1]"، وهذه المعاني الدالة على بذل الوسع والطاقة في الدعوة إلى الله يناسبها التعبير بالمد الفرعي.

ويتعاضد مع المد الفرعي في هذا المقطع الدلالي صوت الغنة التي تتكرر (٢٠ مرة)؛ لإحداث الإطالة الصوتية إظهارًا لطول مدة الدعوة، والحرص على تبليغ رسالة الله –عز وجل– إسرارًا وجهارًا، وطول إعراض الكافرين.

مصدر الغنة	الإدغام الناقص	الإخفاء	الميم والنون المشددتين
مواضع الغنة	أَن يَـأْتِيَهُم- نَـذِيرٌ مُّبِينٌ - لَيْلًا وَنَهَارًا –	أَنـذِرْ- مِـن قَبْـلِ- مِّـن ذُنُوبِكُمْ- كُنتُمْ- أَعْلَنتُ-	إِنَّآ- إِنِّي- مُّسَمًّىٰٓ- إِنَّ- إِنِّى- ثُـمَّ- إِنِّي- وَإِنِّي- ثُمَّ- إِنِّيٓ- إِنَّهُۥ- جَنَّٰتٍ

أمَّا في المقطع الذين يوبخ فيه سيدنا نوح –عليه السلام– قومه، ويستدل ويقيم الحجة عليهم بآثار وجود الله ووحدانيته وقدرته في خلقهم وخلق العالم من حولهم، فلا يظهر المد الفرعي، يقول –تعالى–: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾﴾ [نوح : ١٣ - ٢٠] ، فهذا عرض متتابع متلاحق لنعم الله –عز وجل– على الإنسان، تهدأ فيه نبرة المتكلم لتوضيح مقصده على أتم وجه، ثم يأتي المقطع الأخير من السورة ليظهر وصول الدعوة إلى آخر مراحلها؛ إذ يتجه نوح –عليه السلام– إلى ربه بالشكوى والدعاء على قومه، ويستجيب الله دعاء نبيه نوح؛ فيغرقهم.

ثم يقول –تعالى–: ﴿ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾ مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ

(١) تفسير الكشاف ٦١٦/٤

أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾﴾ [نُوح: ٢١ - ٢٧] . ويظهر المد الفرعي في هذا المقطع الدلالي ٣ مرات يعضده (١٣ غنة).

مصدر الغنة	الإدغام بغنة (الناقص)	الإخفاء	الميم والنون المشددتين
مواضع الغنة	وَدًّا وَلَا- سُوَاعًا وَلَا- كَثِيرًا وَلَا-	مَكْرًا كُبَّارًا - أَنصَارًا - نَارًا فَلَمْ- إِن تَذَرْهُمْ- فَاجِرًا كَفَّارًا	إِنَّهُمْ- تَذَرُنَّ- تَذَرُنَّ- مِّمَّا- إِنَّكَ

وفي الموضع الأول (وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا) يدل المد الفرعي على عماية قوم نوح –عليه السلام– بتماديهم في اتباع الذين لا يزيدونهم إلا خسرانًا، وفي الموضع الثاني يتعاضد المد الفرعي مع صيغة الجمع (خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ) في الدلالة على كثرة خطايا قوم نوح –عليه السلام–، يقول الطاهر بن عاشور: "وجمع الخطيئات مراد بها الإشراك، وتكذيب الرسول، وأذاه، وأذى المؤمنين معه، والسخرية منه حين توعدهم بالطوفان، وما ينطوي عليه ذلك كله من الجرائم والفواحش[١]"، وفي الموضع الأخير للمد الفرعي يتبين يأس سيدنا نوح –عليه السلام– من قومه، فقد كذبوا ولن يلدوا إلا فاجرًا كفارًا.

(١) التحرير والتنوير ٢١٢/٢٩

المبحث السادس

الدلالة الصوتية السياقية للمد الفرعي والغنة في سورة الجن

يشيع في سورة الجن المد الفرعي والغنة من أول السورة حتى آخرها شيوعًا ظاهرًا، ولعل هذا يمثل نمطًا فريدًا لهذه الظاهرة، فالسورة على قصرها (٢٨ آية) يتكرر فيها المد الفرعي ٢٠ مرة، كما تتكرر الغنة (٦٩ مرة)، وهذا يعني أن الإطالة الصوتية تمثل ملمحًا واضحًا في هذه السورة التي تتحدث عن إخبار غيبي بحضور الجن لاستماع القرآن الكريم، وهو "حدث غريب، وخاصة بالنسبة للمشركين الذين هم مظنة التكذيب به... أمر الله رسوله –صلى الله عليه وسلم– بأن يعلم المسلمين وغيرهم بأن الله أوحى إليه وقوع حدث عظيم في دعوته أقامه الله تكريمًا لنبيئه وتنويهًا بالقرآن، وهو أن سخر بعضًا من النوع المسمى جنًّا لاستماع القرآن وألهمهم أو علمهم فهم ما سمعوه واهتداءهم إلى مقدار إرشاده إلى الحق والتوحيد وتنزيه الله والإيمان بالبعث والجزاء، فكانت دعوة الإسلام في أصولها بالغة إلى عالم من العوالم المغيبة لا علاقة لموجوداته بالتكاليف ولا بالعقائد، بل هو عالم مجبول أهله على ما جبلوا عليه من خير أو شر لا يعدو أحدهم في مدة الدنيا جبلته، فيكون على معيارها مصيره الأبدي في الحياة الآخرة؛ ولذلك لم يبعث إليهم بشرائع، وقد كشف الله لهذا الفريق منهم حقائق من عقيدة الإسلام وهديه ففهموه[١]".

وقد أمر الله رسوله ﷺ أن يخبر بهذا الخبر العجيب جميع الناس من المسلمين والمشركين "لما له من دلالة على شرف هذا الدين وشرف كتابه وشرف من جاء به، وفيه إدخال مسرة على المسلمين وتعريض بالمشركين إذ كان الجن قد أدركوا شرف القرآن وفهموا مقاصده وهم لا يعرفون لغته ولا يدركون بلاغته فأقبلوا عليه، والذين جاءهم بلسانهم وأدركوا خصائص بلاغته أنكروه وأعرضوا عنه، وفي الإخبار عن استماع الجن للقرآن بأنه أوحي إليه ذلك إيماء إلى أنه ما علم بذلك إلا بإخبار الله إياه بوقوع هذا الاستماع، فالآية تقتضي أن الرسول –صلى الله عليه وسلم– لم يعلم بحضور الجن لاستماع القرآن قبل نزول هذه الآية[٢]".

(١) التحرير والتنوير ٢١٨/٢٩.

(٢) المرجع السابق ٢١٩/٢٩.

وتنقسم السورة إلى محورين رئيسين:

المحور الأول: ما أُوحِي إلى النبي من أمر نفر الجن الذين استمعوا القرآن وآمنوا به، يقول –تعالى–: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝٢ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝٣ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ۝٤ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۝٥ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦ وَأَنَّهُمْ ظَنُّواْ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ۝٧ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝٨ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٰٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ۝٩ وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ۝١٠ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ۝١١ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ۝١٢ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ۝١٣ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوْاْ رَشَدًا ۝١٤ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ۝١٥﴾ [الجن : ١ - ١٥].

ويتكرر المد الفرعي في هذا المقطع في سياق وصف الجن للقرآن والإيمان بالله –تعالى– ١٠ مرات؛ ليتعاضد مع دلالة تعظيم الجن للقرآن الكريم، وتأكيد الإيمان بالله –تعالى–، وتنزيه أنفسهم عن الشرك، ونفي علم الغيب عن أنفسهم، ويتعاضد مع المد الفرعي تكرار الغنة في هذا المقطع بصورة كبيرة؛ إذ تتكرر الغنة (٤٨ مرة) على النحو الذي يوضحه الجدول التالي:

مصدر الغنة	الإدغام الناقص	الإخفاء	الإقلاب	الميم والنون المشددتين
مواضع الغنة	نَفَرٌ مِّنَ - وَلَن نُّشْرِكَ - صَٰحِبَةً وَلَا - رِجَالٌ مِّنَ - بِرِجَالٍ مِّنَ - لَّن يَبْعَثَ - حَرَسًا شَدِيدًا - فَمَن يَسْتَمِعِ - لَّن نُّعْجِزَ - وَلَن نُّعْجِزَهُۥ - فَمَن يُؤْمِنۢ - بَخْسًا وَلَا -	(ٱلْإِنسُ) - (ٱلْإِنسِ) - (ظَنَنتُمْ) - (بِمَن فِي)	(يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ)	أَنَّهُۥ - ٱلْجِنِّ - إِنَّا - فَـَٔامَنَّا - وَأَنَّهُۥ - وَأَنَّهُۥ - وَأَنَّا - ظَنَنَّآ - وَٱلْجِنُّ - وَأَنَّهُۥ - ٱلْجِنِّ - وَأَنَّهُمْ - ظَنُّواْ - وَأَنَّا - وَأَنَّا - كُنَّا - وَأَنَّا - وَأَنَّا - مِنَّا - وَمِنَّا - كُنَّا - وَأَنَّا - ظَنَنَّآ - وَأَنَّا - لَمَّا - ءَامَنَّا - وَأَنَّا - مِنَّا - وَمِنَّا - وَأَمَّا - لِجَهَنَّمَ -

المحور الثاني: ما أوحي إلى النبي في أمر التوحيد وتهديد المشركين

يتكرر المد الفرعي في هذا المحور ١٠ مرات، يقول الله –تعالى–: ﴿ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ ﴾ [الجن : ١٦ - ٢٦]

ويتناسب المد الفرعي في الموضع الأول (لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا) مع دلالة الكثرة المستفادة من لفظ الغدق، فالغدق هو الماء الكثير الغزير[١]، وفي هذه الآية " وعد بجزاء على الاستقامة في الدين جزاءً حسنًا في الدنيا يكون عنوانًا على رضا الله –تعالى– وبشارة بثواب الآخرة، ... وفي هذا إنذار بأنه يوشك أن يمسك عنهم المطر فيقعوا في القحط والجوع، ... وقد كانوا يوم نزول هذه الآية في بحبوحة من العيش وفي نخيل وجنات، فكان جعل ترتب الإسقاء على الاستقامة على الطريقة كما اقتضاه الشرط بحرف (لو) مشيرًا إلى أن المراد: لأدمنا عليهم الإسقاء بالماء الغدق، وإلى أنهم ليسوا بسالكين سبيل الاستقامة، فيوشك أن يمسك عنهم الري، ففي هذا إنذار بأنهم إن استمروا على اعوجاج الطريقة أمسك عنهم الماء، وبذلك يتناسب التعليل بالإفتان في قوله: (لنفتنهم فيه) مع الجملة السابقة إذ يكون تعليلًا لما تضمنه معنى إدامة الإسقاء فإنه تعليل للإسقاء الموجود حين نزول الآية وليس تعليلا للإسقاء المفروض في جواب لو؛ لأن جواب لو منتف فلا يصلح لأن يعلل به، وإنما هم مفتونون بما هم فيه من النعمة، فأراد الله أن يوقظ قلوبهم بأن استمرار النعمة عليهم فتنة لهم فلا تغرنهم، ... وبهذا التفسير تزول الحيرة في استخلاص معنى الآية وتعليلها[٢]"، ويتناسب المد الفرعي وفق هذا التفسير مع دلالة إدامة النعمة واستمرارها.

(١) تفسير الطبري ٣٣٥/٢٣.

(٢) التحرير والتنوير ٢٣٨/٢٩–٢٣٩.

وقد ذكر بعض المفسرين أن الماء كناية عن السعة، يقول الماتُريدي: "(لَأَسۡقَيۡنَٰهُم مَّآءً غَدَقٗا)، أي: وسعنا عليهم العيش، وكثرنا أموالهم، ويكون ذكر الماء هاهنا كناية عن السعة؛ لأن سعة الدنيا كلها تتصل بالماء، والماء أصلها؛ قال الله -تعالى-: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ٢٢﴾ [الذَّارِيَات: ٢٢]، فأخبر أن رزق الخلق في السماء، والذي ينزل من السماء الماء، وهو المطر، وجعل ذلك رزقا، إذ هو أصل رزق الخلق؛ فكذلك ذكر الماء هاهنا كناية عن السعة من الوجه الذي ذكرنا[(١)]".

وتحمل الآية الكريمة ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَدۡعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِهِۦٓ أَحَدٗا﴾ ثلاثة مدود فرعية تتناسب مع تأكيد معنى إفراد النبي لله -عز وجل- بالعبادة، وهذا المعنى مؤكد بأسلوب القصر، فقوله -تعالى-: "﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَدۡعُواْ رَبِّي﴾ يفيد قصرًا، أي: لا أدعو غيره، أي: لا أعبد غيره ، وعطف عليه ﴿وَلَآ أُشۡرِكُ بِهِۦٓ أَحَدٗا﴾؛ تأكيدًا لمفهوم القصر[(٢)]". ويتناسب المد الفرعي في الموضع الخامس (إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ) مع تأكيد نفي النبي ﷺ عن نفسه امتلاك الضر أو النفع أو الضلال أو الرشد، ويتناسب المد الفرعي والإطالة الزمنية في الموضع السادس (خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا) مع معنى الخلود في النار والمؤكد بالظرف (أبدًا)، ويتناسب المد الفرعي والإطالة الزمنية في الموضع السابع (حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ) مع معنى تأخير العذاب، ويتناسب المد الفرعي والإطالة الزمنية في الموضع الثامن (إِنۡ أَدۡرِيٓ أَقَرِيبٞ) مع تأكيد نفي العلم بوقت الساعة وحلول العذاب للمشركين، وكذلك يتناسب المد الفرعي في الموضع التاسع (رَبِّيٓ أَمَدًا) مع معنى تأخير العذاب ، ويتناسب المد الفرعي والإطالة الزمنية في الموضع العاشر (عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا) مع تأكيد عموم نفي إمكان علم الغيب.

وتتعاضد الغنة المتكررة (٢٣ مرة) مع المد الفرعي في إبراز دلالة هذا المقطع العامة ودلالاته الجزئية:

مصدر الغنة	الإدغام بغنة (الناقص)	الإخفاء	الإقلاب	الميم والنون المشددتين
مواضع الغنة	وَمَن يُعۡرِضۡ- ضَرًّا وَلَا- لَن يُجِيرَنِي- أَحَدٞ وَلَنۡ- بَلَٰغٗا مِّنَ- وَمَن يَعۡصِ- نَاصِرًا وَأَقَلُّ- أَقَرِيبٞ مَّا	عَن ذِكۡرِ- عَذَابَا صَعَدًا- مِن دُونِهِۦ- أَن قَدۡ	مِنۢ بَيۡنِ	وَأَنَّ- وَأَنَّهُۥ – لَمَّا- إِنَّمَآ- إِنِّي- إِنِّى- فَإِنَّ- جَهَنَّمَ- فَإِنَّهُۥ-

(١) تفسير الماتريدي ١٠/٢٥٥.

(٢) التحرير والتنوير ٢٩/٢٤٣.

المبحث السابع

الدلالة الصوتية السياقية للمد الفرعي والغنة في سورة المزمل

تُفتتح سورة المزمل بنداء النبي محمد ﷺ نداء تلطف بوصفه بصفة تزمله، يقول –تعالى–: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣﴾ [المُزَّمِّل : ١ - ٣]، ويظهر المد الفرعي في هذا النداء تعظيمًا للنبي ﷺ وتنبيهًا لما يؤمر به بعد النداء، فإن "افتتاح الكلام بالنداء إذا كان المخاطب واحدًا ولم يكن بعيدًا يدل على الاعتناء بما سيلقى إلى المخاطب من كلام، والأصل في النداء أن يكون باسم المنادى العلم إذا كان معروفًا عند المتكلم، فلا يعدل من الاسم العلم إلى غيره من وصف أو إضافة إلا لغرض يقصده البلغاء من تعظيم وتكريم ...، أو تلطف وتقرب ... فنداء النبيء بـ(يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ) نداء تلطف وارتفاق[(١)]"، وينقل الإمام الطبري عن أهل التأويل أن صفة التزمل تعني الالتفاف بالثوب؛ تأهبًا للصلاة، أو التزمل بأمر النبوة والرسالة، والتحمل لأعباء الأمانة، ويرجح الإمام الطبري القول الأول؛ "لأنه قد عقبه بقوله: (قُمِ ٱلَّيۡلَ)؛ فكان ذلك بيانًا عن أنه وصفه بالتزمل بالثياب للصلاة، وأن ذلك هو أظهر معنييه[(٢)]"، وكلا المعنيين المحتملين يظهران التلطف في النداء بالتحول من نداء الاسم العلم إلى نداء الموصوف بصفات المدح، والمد الفرعي يقوي إظهار هذه الدلالة.

ثم يظهر المد الفرعي في قوله: (نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ) إشعارًا بطول قيام نصف الليل، "ولعل حكمة هذا القيام الذي فرض على الرسول –صلى الله عليه وسلم– في صدر رسالته هو أن تزداد به سريرته زكاء يقوي استعداده لتلقي الوحي حتى لا يحرجه الوحي كما ضغطه عند نزوله[(٣)]".

---

(١) التحرير والتنوير ٢٩/٢٥٥– ٢٥٦.

(٢) تفسير الطبري ٢٣/٣٥٨، "وقيل: كان هذا في أول ما أوحي إليه، لمَّا سمع صوت الملك ونظر إليه أخذته الرعدة والحمى، فأتى أهله، وقال: "زملوني دثروني". التيسير في التفسير للنسفي ١٥/٦٢.

(٣) التحرير والتنوير ٢٩/٢٥٨، ويقول الإمام النسفي مبينًا حرص النبي على الإطالة في قيام الليل: "وكان النبي– الله عليه وسلم– يشق عليه مراعاة هذه المقادير، فقام سنة –في رواية– لم ينم في شيء منها ليلًا، وفي رواية: سنتين، وفي رواية: حتى تورمت قدماه، فأنزل الله –تعالى– التخفيف له وللمؤمنين: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ﴾ [المُزَّمِّل : ٢٠] الآية، فسقطت عنهم فرضية القيام ليلًا، وبقيت الفضيلة". التيسير في التفسير، لأبي حفص النسفي (ت ٥٣٧هـ)، تحقيق ماهر أديب حبوش، وآخرون، دار اللباب للدراسات وتحقيق التراث، إسطنبول – تركيا، الطبعة الأولى، ١٤٤٠هـ – ٢٠١٩م، ١٥/٦٣.

وكذلك يظهر المد الفرعي في قوله –تعالى–: ﴿رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا ٩﴾ [المُزَّمِّل : ٩]، وهذا المد يؤكد نفي وجود إله غير الله، وهو نفي دال على إفراد الله بالألوهية، والمد الوارد هنا (لَآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ) مد التعظيم، هو نوع من المد المنفصل، ويقع دائمًا في لا النافية للجنس في كلمة التوحيد؛ نحو: (لا إله إلا الله)، و(لا إله إلا هو)، وقد تسبب في مده سببان: الأول لفظي، وهو الهمز، والثاني معنوي، وهو المبالغة في نفي الألوهية عما سوى الله؛ ولذا يفضل مده عند الذين قصروا المنفصل وغيرهم.

وكذلك يظهر المد الفرعي في سياق التهديد والوعيد للكافرين المكذبين المعاندين بعذاب الآخرة: ﴿إِنَّ لَدَيۡنَآ أَنكَالٗا وَجَحِيمٗا ١٢﴾ [المُزَّمِّل : ١٢]، يقول الطاهر بن عاشور:" وهذا تعليل لجملة (وذرني والمكذبين)...، وهذا التعليل أفاد تهديدهم بأن هذه النقم أعدت لهم؛ لأنها لما كانت من خزائن نقمة الله –تعالى– كانت بحيث يضعها الله في المواضع المستأهلة لها، وهم الذين بدلوا نعمة الله كفرًا، فأعد الله لهم ما يكون عليهم في الحياة الأبدية ضدًّا لأصول النعمة التي خولوها، فبطروا بها وقابلوا المنعم بالكفران، فالأنكال مقابل كفرانهم بنعمة الصحة والمقدرة؛ لأن الأنكال القيود، والجحيم، وهو نار جهنم، مقابل ما كانوا عليه من لذة الاستظلال والتبرد(١)".

وقد ثبت هذا التهديد في حقهم وماتوا كفارًا، يقول الماتريدي:"في هذه الآية دلالة نبوة نبينا –صلى الله عليه وسلم– وآية رسالته ...، وإنما ينكلون ويعذبون بالجحيم إذا ماتوا على الكفر؛ ففيه إبانة أنهم يموتون وهم كفار، وعلى ذلك ماتوا، وختم أمرهم، ولم يُسلم منهم أحد؛ فيخرج ما أخبر عن غيب كما أخبر، وذلك لا يعلم إلا بالله –تعالى–، فثبت أنه لم يخترعه من تلقاء نفسه، بل علم بالله –تعالى–، وعلم الغيب من أعظم آيات رسالته(٢)".

ثم يظهر المد الفرعي في سياق تهديد الكافرين بما حل بقوم فرعون لما كذبوا موسى –عليه السلام: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ رَسُولٗا شَٰهِدًا عَلَيۡكُمۡ كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولٗا ١٥﴾ [المُزَّمِّل : ١٥]، ويتكرر المد الفرعي في هذه الآية أربع مرات، وهذا يناسب معنى التهديد المفهوم من ذكر قوم فرعون، فقد "نقل الكلام إلى مخاطبة المشركين بعد أن كان الخطاب موجهًا إلى النبيء–صلى الله عليه وسلم–،

(١) التحرير والتنوير ٢٩/٢٧١، وينظر هذه الدلالة في: تفسير الكشاف ٤/٦٤٠ .

(٢) تفسير الماتريدي ١٠/٢٨٣-٢٨٤.

والمناسبة لذلك التخلص إلى وعيدهم بعد أن أمره بالصبر على ما يقولون وهجرهم هجرًا جميلًا ... والمقصود من هذا الخبر التعريض بالتهديد أن يصيبهم مثل ما أصاب أمثالهم ممن كذبوا الرسل [١]".

ويظهر المد الفرعي أيضًا في سياق ذكر يوم القيامة ووصف أهواله، والتخويف من عذاب الكافرين به، يقول –تعالى–: ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرُۢ بِهِۦۚ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَفۡعُولًا ١٨﴾ [المُزَّمِّل : ١٨]، فيتناسب المد الفرعي (ٱلسَّمَآءُ) تعضده غنة الإخفاء مع سياق التهديد والتخويف؛ إذ" السماء مثقلة بذلك اليوم، متصدعة متشققة[٢]"، ويحدث هذا التصدع والتشقق "لنزول الملائكة وصعودهم ... وذِكرُ انفطار السماء في ذلك اليوم زيادة في تهويل أحواله؛ لأن ذلك يزيد المهددين رعبًا[٣]".

ويظهر المد الفرعي كذلك في قوله–تعالى–: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ١٩﴾ [المُزَّمِّل : ١٩]، ويناسب هذا المد الفرعي (شَآءَ) معنى التحريض على التوبة والإيمان، يقول الطاهر بن عاشور: "والإتيان بموصول (فمن شاء) من قبيل التحريض؛ لأنه يقتضي أن هذا السبيل موصل إلى الخير، فلا حائل يحول بين طالب الخير وبين سلوك هذا السبيل إلا مشيئته ... فليس ذلك إباحة للإيمان والكفر، ولكنه تحريض على الإيمان، وما بعده تحذير من الكفر، أي: تبعة التفريط في ذلك على المفرط[٤]"، فهذه الآية تتضمن معنى الوعد والوعيد، وهو من المعاني والسياقات التي يكثر فيها المد الفرعي كما اتضح من تحليل السور السابقة.

وفي سياق الثناء على النبي ﷺ والمؤمنين الذين حملوا أنفسهم على قيام الليل اقتداء بهدي رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يقول الله –تعالى–: ﴿۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ﴾ [المُزَّمِّل : ٢٠] ، والمد الفرعي في (طَآئِفَةٞ) يتناسب مع تعظيم قدرهم؛ فإنهم كانوا يقومون الليل إخلاصًا لله –عز وجل–.

---

(١) التحرير والتنوير ٢٧٢/٢٩، يقول أبو حيان:" ولما هدد المكذبين بأهوال القيامة، ذكرهم بحال فرعون وكيف أخذه الله –تعالى– إذ كذب موسى –عليه السلام–، وأنه إن دام تكذيبهم أهلكهم الله –تعالى–". البحر المحيط ٣١٧/١٠.

(٢) تفسير الطبري ٣٨٩/٢٣.

(٣) التحرير والتنوير ٢٧٦/٢٩.

(٤) المرجع السابق ٢٧٨/٢٩، وينظر: تفسير الطبري ٢٣/ ٣٩٢–٣٩٣.

المبحث الثامن

الدلالة الصوتية السياقية للمد الفرعي والغنة في سورة المدثر

يظهر المد الفرعي في مطلع السورة في أول آية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١﴾ [المُدَّثِّر : ١]، وهذا المد يناسب غرض النداء، وهو نداء تلطف وتعظيم للنبي –صلى الله عليه وسلم–، كما أنه يناسب دلالة التنبيه لما سيلقى عليه ﷺ، ويختفي المد في الأوامر الإلهية الموجهة للنبي، ثم يظهر المد الفرعي في مقام الاستنكار لفعل الكافرين، فيقول –تعالى–: ﴿كَلَّآۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِأٓيَٰتِنَا عَنِيدٗا ۝١٦﴾ [المُدَّثِّر : ١٦]. ثم يظهر مرة أخرى في سياق الحديث عن كفر الكافرين وادعائهم بأن القرآن سحر أو من قول البشر وبيان أن مصيرهم إلى النار، يقول –تعالى–: ﴿فَقَالَ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ يُؤۡثَرُ ۝٢٤ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا قَوۡلُ ٱلۡبَشَرِ ۝٢٥ سَأُصۡلِيهِ سَقَرَ ۝٢٦ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سَقَرُ ۝٢٧﴾ [المُدَّثِّر : ٢٤ - ٢٧]، فالمد هنا في موضعيه الأول والثاني يظهر شناعة ادعائهم وقبحه وفساده، كما يظهر المد في الموضع الثالث (وَمَآ أَدۡرَىٰكَ) دلالة التهديد في الموضع الثاني بالاستفهام الدال على التقريع والتوبيخ للكافرين.

ثم يظهر المد الفرعي في الحديث عن الملائكة الموكلة بأمر النار، فيقول –تعالى–: ﴿وَمَا جَعَلۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةٗۙ وَمَا جَعَلۡنَا عِدَّتَهُمۡ إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيَسۡتَيۡقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَيَزۡدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنٗا وَلَا يَرۡتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡبَشَرِ ۝٣١﴾ [المُدَّثِّر : ٣١]، إذ يتكرر المد الفرعي هنا ٦ مرات، وفي كل موضع من مواضع المد في هذه الآيات الكريمة يتناسب المد مع ملمح دلالي خاص، ففي الموضع الأول والثاني للمد الفرعي(وَمَا جَعَلۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةٗۙ) يتناسب المد مع عظمة القدرة الإلهية في خلق الملائكة أصحاب النار، وفي الموضع الثالث (وَيَزۡدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنٗا) يتناسب المد الفرعي مع توغل الإيمان في قلوب المؤمنين بالزيادة، فهو يتناسب دلاليًا أيضًا مع الفعل (يزداد)، وفي الموضع الرابع (مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۚ) يدل المد الفرعي على قوة فتنة الكافرين بأمر الله –عز وجل– وعدم تسليمهم به، "وذلك أن المراد بقوله (وَما جَعَلْنا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا) وما جعلنا عدتهم إلا تسعة عشر، فوضع (فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا) موضع (تِسْعَةَ عَشَرَ)؛ لأن حال هذه العدة الناقصة واحدًا من عقد العشرين أن يفتتن بها من لا يؤمن بالله وبحكمته ويعترض ويستهزئ، ولا يذعن إذعان المؤمن، وإن خفي عليه وجه

الحكمة[١]"، وفي الموضعين الخامس والسادس يتعلق المد بفعل المشيئة الإلهية (كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ)، وهذا يدل على تمادي المعرضين في ضلالهم، فهم من يشاءون ذلك ويصرون عليه، فيكون مصيرهم إلى عاقبة الضلال، كما يدل على أهمية المصابرة على إرادة الهدى للمؤمنين المهتدين، لينالوا حسن الثواب والمآب.

ثم يظهر المد الفرعي في القسم بالقمر وإدبار الليل، وإسفار الصبح؛ فيقول –تعالى–: ﴿كَلَّا وَٱلۡقَمَرِ ۝٣٢ وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ ۝٣٣ وَٱلصُّبۡحِ إِذَآ أَسۡفَرَ ۝٣٤ إِنَّهَا لَإِحۡدَى ٱلۡكُبَرِ ۝٣٥ نَذِيرٗا لِّلۡبَشَرِ ۝٣٦ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَتَقَدَّمَ أَوۡ يَتَأَخَّرَ ۝٣٧ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ ۝٣٨ إِلَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡيَمِينِ ۝٣٩ فِي جَنَّٰتٖ يَتَسَآءَلُونَ ۝٤٠﴾ [المُدَّثِّر: ٣٢ - ٤٠] ، والمد في الموضع الأول من هذه الآيات (وَٱلصُّبۡحِ إِذَآ أَسۡفَرَ) يدل على وجه من وجوه الإعجاز العلمي في القرآن؛ إذ إننا نلاحظ أن إسفار النهار بضوئه يستغرق وقتًا طويلًا متدرجًا في ظهوره حتى يصل إلى ذروته، والمد هنا يتناسب تمام التناسب مع هذه الحقيقة العلمية، وفي الموضع الثاني يتعلق المد بالفعل (شاء) ليدل على المصابرة في مشيئة الخير، أو التمادي في الشر، وفي الموضع الثالث يظهر المد عظم جزاء المؤمنين أصحاب اليمين، وفي الموضع الرابع (يَتَسَآءَلُونَ) يدل على حرصهم على هذا التساؤل، ثم يظهر حرص أهل النار في الاعتراف بذنوبهم، وكأن بهم رغبة في أن يشفع لهم المؤمنون، لكن الله –عز وجل – يقطع عليهم أملهم بقوله –تعالى–: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ۝٤٨﴾ [المُدَّثِّر: ٤٨]. ثم يظهر المد الفرعي مرة أخرى دالا على استغراق الكافرين في التكذيب بيوم الدين حتى جاءهم الموت، فيقول –تعالى–: ﴿حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلۡيَقِينُ ۝٤٧﴾ [المُدَّثِّر: ٤٧]

ثم يظهر المد الفرعي مرة أخرى للدلالة على فضل القرآن الكريم وأن أهل القرآن أهل التقوى وأهل المغفرة وأهل التوفيق من الله –عز وجل–: ﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذۡكِرَةٞ ۝٥٤ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝٥٥ وَمَا يَذۡكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ هُوَ أَهۡلُ ٱلتَّقۡوَىٰ وَأَهۡلُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ ۝٥٦﴾ [المُدَّثِّر: ٥٤ - ٥٦] ؛ إذ يتكرر المد الفرعي في هذا المقطع الدلالي الذي يمثل ختامًا للسورة الكريمة، ودستورًا لحركة الإيمان مع البشر جميعًا، يتكرر المد ٤ مرات؛ للتنبيه على مضمون هذا القانون الإلهي، فالقرآن الكريم هو منبع التذكرة الدائم للبشرية جمعاء، وهداية الإنسان مرهونة بقوة الإرادة والمصابرة على التقوى، وأن تولد إرادة الهداية في قلب المؤمن إنما هي فضل وإحسان من الله –عز وجل–؛ فيجب على الإنسان أن يدعو الله –عز وجل– أن يلهمه الإيمان وأن يوفقه لطاعته.

(١) تفسير الكشاف ٤/٦٥١.

المبحث التاسع

الدلالة الصوتية السياقية للمد الفرعي والغنة في سورة القيامة

يقل المد الفرعي في سورة القيامة، فلا يظهر سوى خمس مرات على مدار السورة كلها (وقوامها خمسون آية)، فيظهر المد الفرعي في سياقات محددة لإيضاح الدلالة والتأكيد على المعنى، ففي مطلع السورة الكريمة يتكرر المد الفرعي ثلاث مرات؛ ليجذب انتباه المتلقين إلى ما سيتلى عليهم، يقول –تعالى–: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ۝٤﴾ [القِيَامَة: ١ - ٤]، وهذا التكرار في مطلع السورة لبيان عظمة المقسم به والمقسم عليه، وقد نتج هذا المد من دخول حرف النفي (لا) على فعل القسم (أقسم)؛ ويدخل حرف النفي على فعل القسم في كلام العرب؛ "لقصد المبالغة في تحقيق حرمة المقسم به، بحيث يوهم للسامع أن المتكلم يهم أن يقسم به، ثم يترك القسم مخافة الحنث بالمقسم به، فيقول: لا أقسم به، أي: ولا أقسم بأعز منه عندي، وذلك كناية عن تأكيد القسم [(١)]".

والمقسم عليه في هذه الآيات هو إثبات قدرة الخالق –عز وجل– على البعث، وجمع عظام كل إنسان وإعادته إلى ما كان عليه، وإحياء العظام بعد أن صارت رميمًا، بل أكبر من ذلك أن يسوي بقدرته البنان، واختيار تسوية البنان اختيار لمظهر من مظاهر عظمة الله الجليلة الجلية لكل إنسان؛ فالبنان تحتوي على بصمات الإنسان، وهي غاية في التفرد والدقة؛ إذ لا يتشابه اثنان في خريطة البصمات، فأقسم الله –تعالى– بالقيامة، وهو قسم عظيم، على أنه قادر على أن يرد هذه البنان يوم القيامة كما كانت وبنفس الخريطة والدقة، وذلك في معرض الرد على المشركين الذين ينكرون المعاد ويستبعدون بعث الأجساد، وللمفسرين أقوال كثيرة في معنى تسوية البنان، يقول الإمام الرازي: "وإنما خص البنان بالذكر؛ لأنه آخر ما يتم خلقه، فكأنه قيل: نقدر على ضم سلاماته على صغرها ولطافتها بعضها إلى بعض، كما كانت أولًا من غير نقصان ولا تفاوت، فكيف القول في كبار العظام؟!، وثانيها: بلى قادرين على أن نسوي بنانه، أي: نجعلها مع كفه صفيحة مستوية لا شقوق فيها كخف البعير؛ فيعدم الارتفاق بالأعمال اللطيفة، كالكتابة والخياطة وسائر الأعمال اللطيفة التي يُستعان عليها

(١) التحرير والتنوير ٣٣٨/٢٩.

بالأصابع، والقول الأول أقرب إلى الصواب[١]". وكل هذه المعاني يناسبها المد الزائد (على أن نسوي) فإن هذه التسوية إعجاز عظيم لا يقدر عليه إلا الخالق العظيم جلت قدرته.

ويختفي المد الفرعي في المقطع الدلالي الثاني الذي يتحدث عن فجور الإنسان بسؤاله عن ميعاد يوم القيامة، وإخبار الله –عز وجل– عن تتابع أهوال ذلك اليوم وأنه يوم العرض والحساب، يقول –تعالى– ﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ۝٥ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ۝٦ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ۝٧ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ۝٨ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۝٩ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ۝١٠ كَلَّا لَا وَزَرَ ۝١١ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ۝١٢ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ۝١٣ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ۝١٤ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ۝١٥﴾ [القِيَامَة : ٥ - ١٥] ، وقد التفت الدكتور محمد المبارك في كتابه القيم "دراسات أدبية للقرآن الكريم" إلى أنه" إذا كان الموضوع حديثًا عن يوم القيامة وهولها وتعاقب أحداثها قصرت الآيات وكثرت فيها الحروف ذات الشدة والصليل، وقلت المدود أو فقدت[٢]". وأورد سيادته آيات من هذا المقطع القرآني من سورة القيامة، وكذلك يختفي المد الفرعي في سياق خطاب النبي ﷺ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ۝١٨ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ۝١٩﴾ [القِيَامَة : ١٦ - ١٩]، ويختفي المد الفرعي أيضًا في سياق الحديث عن الآخرة امتدادًا للحديث السابق، يقول –تعالى–: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ۝٢٠ وَتَذَرُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ۝٢١ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍۭ بَاسِرَةٌ ۝٢٤ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ۝٢٥﴾ [القِيَامَة : ٢٠ - ٢٥].

ثم يظهر المد الفرعي في قوله –تعالى–: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ ۝٢٦﴾ [القِيَامَة : ٢٦]، وهو ما يناسب معنى الزجر والردع الذي تظهره كلمة (كلَّا) وكذلك يظهر المد الفرعي في توبيخ الكافرين باستغراقهم في الكبر وإصرارهم عليه، يقول –تعالى–: ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ۝٣٣﴾ [القِيَامَة : ٣٣] ، وفي الآية الأخيرة من السورة يظهر المد الفرعي لإيضاح دلالة تمام قدرة الله –عز وجل– على إحياء الموتى، فيقول –تعالى– : ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِۦَ ٱلْمَوْتَىٰ ۝٤٠﴾ [القِيَامَة : ٤٠].

(١) تفسير الرازي ٣٠/٧٢٢.

(٢) دراسات أدبية لنصوص من القرآن، ص ١٥٤.

المبحث العاشر

الدلالة الصوتية السياقية للمد الفرعي والغنة في سورة الإنسان

يظهر المد الفرعي في بداية سورة الإنسان في سياق التهديد والوعيد بالعذاب الأليم للكافرين؛ إذ يقيدون في السعير بالسلاسل والأغلال؛ إذلالًا وإهانةً، يقول –تعالى–: ﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۠ وَأَغۡلَٰلٗا وَسَعِيرًا ۝٤﴾ [الإنسان : ٤]، وقد جاء هذا المد الطويل (إنَّا) منصبًّا على الفعل (أعتدنا) إبرازًا لما يتعلق به من معانٍ، فهو يدل على قوة الإعداد وإحكامه، ويشعر بقوة المُعِد وعظمته، وقوة المُعَد وشدته، وهذه المعاني تتناسب مع اللفظ الممدود، وهو ضمير العظمة (نا)، واختير اللفظ (أعتدنا)؛ لأنه يفيد معنى الحضور والقرب(١).

وقد ظهر المد الطبيعي في هذه الآية الكريمة ست مرات إلى جوار المد الفرعي، وقد أحدثت هذه النغمة المتكررة بالمد إحساسًا بشمول المهانة لهؤلاء الكافرين، فأمَّا "السلاسل فتشد بها أرجلهم، وأمَّا الأغلال فتُشد بها أيديهم إلى رقابهم، وأما السعير فهو النار التي تُسعَّر عليهم فتوقد فيكونون حطبًا لها، وهذا من أغلظ أنواع الترهيب والتخويف(٢)".

ثم يظهر المد الفرعي في سياق الحديث عن إحسان الأبرار المؤمنين، ومدحهم بأنهم لا ينتظرون الجزاء من الذين بذلوا في حقهم الإحسان، فهم لا يطمعون إلا في جزاء الله وعطائه الواسع، وهنا يظهر المد الفرعي في (جَـزَآءً) تعبيرًا عن شدة رجائهم وطمعهم في عظيم الأجر من الله –تعالى–: ﴿إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا ۝٩﴾ [الإنسان : ٩]، ويوازي هذا المد الفرعي في تبيين رجاء المحسنين في عطاء الله الواسع مد آخر وهو المد الفرعي الواقع في وصف الله –عز وجل– جزاء هؤلاء المحسنين؛ إذ يظهر المد التالي مباشرة للمد السابق في سياق الحديث عن الجنة ونعميها الدائم الواسع، يقول–تعالى–: ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۖ﴾ [الإنسان : ١٣]، ثم يتكرر المد مرة أخرى في قوله –تعالى–: ﴿وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٖ﴾ [الإنسان : ٢١] ، ويدل المد الفرعي في هذين الموضعين على سعة جزاء المؤمنين في الآخرة، وهنا ملمح دلالي آخر، وهو أن المد الذي ظهر في أول الآيات مظهرًا طمع المحسنين في الجزاء الواسع من الله في لفظ (جَـزَآءً)، قد وازاه اللفظ نفسه بالمد نفسه تحقيقًا

(١) ينظر: مقاييس اللغة، لابن فارس (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م، ٢١٦/٤، وتفسير الرازي ٧٤٣/٣٠.

(٢) تفسير الرازي ٧٤٣/٣٠.

لرجائهم وطمعهم في آخر الآيات، فقد كان الكلام في الموضع الأول على لسان المحسنين: ﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝٩﴾، وكان اختتام الآيات تفضل وإنعام من الله –تعالى–: ﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ۝٢٢﴾، وهذا يدل على أن القول في الموضع الأول يتضمن الطمع والرجاء في جزاء الله وثوابه .

ويؤكد سعة الجزاء ما ذكره الله –عز وجل– من وصف النعيم، فقد عدد الله –عز وجل– صور النعيم بواو العطف المتكررة ثماني مرات في قوله –تعالى–: ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ۝١١ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ۝١٢ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ۝١٣ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ۝١٤ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ۝١٥ قَوَارِيرَا۠ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ۝١٦ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ۝١٧ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ۝١٨ * وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ۝١٩ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ۝٢٠ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ۝٢١﴾ [الإنسان : ١١ - ٢١] ، ولا شك أن هذا الجزاء من الله قد تبينت سعته، فقد وقاهم الله شر الحساب، وجزاهم الجنة بكل ما فيها من ألوان النعيم.

وينتقل السياق القرآني إلى ذم الكافرين ودحض شبهاتهم، فيقول –تعالى–: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ۝٢٧ نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ۝٢٨﴾ [الإنسان : ٢٧ - ٢٨]، فيظهر المد الفرعي في هذا المقطع الدلالي المكون من آيتين خمس مرات، ويفيد المد الفرعي في المواضع الثلاثة الأولى في لفظي (هَٰٓؤُلَآءِ)، (وَرَآءَهُمْ) إبعادًا لهم وتحقيرًا لشأنهم؛ "لأن خُلُقهم الانصباب على الدنيا مع الإعراض عن الآخرة؛ إذ هم لا يؤمنون بالبعث، ... و(هؤلاء) إشارة إلى حاضرين في ذهن المخاطب لكثرة الحديث عنهم ... ومثلوا بحال من يترك شيئا وراءه، فهو لا يسعى إليه، وإنما يسعى إلى ما بين يديه، وإنما أعرضوا عنه؛ لأنهم لا يؤمنون بحلوله فكيف يسعون إليه؟!، وصيغة المضارع في (يذرون) تقتضي أنهم مستمرون على ذلك، وأن ذلك متجدد فيهم ومتكرر لا يتخلفون عن ذلك الترك؛ لأنهم لا يؤمنون بحلول ذلك اليوم، فالمسلمون لا يذرون وراءهم هذا اليوم؛ لأنهم لا يخلون من عمل له على تفاوت بينهم في التقوى[(١)]"، وهذا الاستمرار في الفعل (يذرون) يناسبه المد الفرعي في اللفظة (وراءهم)، فهما معًا يفيدان الإنكار ويؤكدان الترك والإهمال.

(١) التحرير والتنوير ٢٩/٤٠٧– ٤٠٨.

ثم تنتقل الآيات إلى دحض الباعث للكافرين على إنكار يوم البعث والحساب وتفنيد شبهته، وهي شبهة استحالة إعادة الأجساد بعد بلاها وفنائها... وقد فند الله –عز وجل– ذلك بأن من خلقهم أول مرة قادر على بعثهم للحساب، وأنه أحكم خلق أجسادهم وأتقن صنعه فكان بعضها مشدودًا إلى بعض ﴿وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ﴾، فشد الأسر هو "إتقان ارتباط أجزاء الجسد بعضها ببعض بواسطة العظام والأعصاب والعروق؛ إذ بذلك يستقل الجسم[١]"، ويثبت العلم الحديث معنى آخر لقوله –تعالى–: (شَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ)، فالإنسان "خُلق من حمض نووي أو شريط وراثي مثل السلم المجدول أو مثل حبلين جُدلا ليكونا حبلًا واحدًا، يتكون من قواعد نيتروجينية...، وهي: الأدينين، والجوانين، والثيامين، والسيتوسين، فيرتبط الأدينين بالثيامين، والجوانين بالسيتوسين، وأيضًا العكس، أي: الثيامين بالأدينين، والسيتوسين بالثيامين، إذن فخلق الإنسان يعتمد علي زوجين من القواعد النيتروجينية خلقها الله وخلق الإنسان منها، وهذه هي التي تستحق أن يتدارسها الإنسان ويبذل الجهد للوصول إلى هذه المعرفة، ثم يؤكد الله ما وصلنا إليه فيقول –تعالى– تأكيدًا بشكل واضح: (نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا) ... إذا نظرنا إلى شكل الحمض النووي في الصورة والروابط التي تربط بين طرفي السلم فسوف نفهم معنى (وشددنا أسرهم)، أي: ربطنا هذه الروابط النيتروجينية بعضها ببعض وشددنا أسرها بروابط هيدروجينية تربط القواعد النيتروجينية فيما بينها، وأيضًا شد أسره بهيكل قوي يتكون منه السلم من السكر والفوسفات، والغريب جدًّا أن نفس اللفظ القرآني استخدمه العلماء لهذه الروابط، فقالوا: إن الروابط الهيدروجينية تقوي وتشد أسر القواعد النيتروجينية ... هل هناك أوضح من ذلك؟!، ثم يكمل –تعالى– أنه إذا شاء يبدلهم، ويبدلهم بأن يغير من الشفرة التي يبني منها الحمض النووي من هذين الزوجين؛ وبالتالي يكون النتيجة خلقًا آخر[٢]"، فالمد الفرعي الأخير في هاتين الآيتين الكريمتين (بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ) يدل على أن هذا التبديل لا يصدر إلا عن الله –عز وجل– خالق كل شيء بحكمته وقدرته ﷻ.

ثم ينتقل السياق القرآني في نهاية السورة الكريمة بعد وعد المؤمنين بحسن الثواب ووعيد الكافرين بسوء العقاب إلى الترغيب في التوبة يقول–تعالى–: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ

(١) التحرير والتنوير ٤٠٩/٢٩ ، وينظر: تفسير الرازي ٧٦١/٣٠، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١٥٨/٢١.

(٢) مقال غير معنون منشور على شبكة التواصل الاجتماعي فيس بوك: صفحة (الإعجاز العلمي دكتور محمد غلوش).

عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾ [الإنسان : ٢٩ - ٣١]، ويدل المد الفرعي في الموضع الأول من هذه الآيات (فمن شاء) على زيادة الحث على أن يتخذ الإنسان إلى ربه سبيلا، وعدم التعلق بالدنيا الزائلة ، "ففي قوله: (فمن شاء) حث على المبادرة بذلك؛ لأن مشيئة المرء في مكنته، فلا يمنعه منها إلا سوء تدبيره، وهذا حث وتحريض فيه تعريض بالمشركين بأنهم أبوا أن يتذكروا عنادًا وحسدًا... وهذه السبيل هي التوبة، فالتائب مثل الذي كان ضالا، أو آبقا فاهتدى إلى الطريق التي يرجع منها إلى مقصده، أو سلك الطريق إلى مولاه[١]".

ويدل المد الفرعي المتكرر ثلاث مرات في قوله: (وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ) على مشقة المصابرة على ترك الشهوات واختيار سبيل مرضاة رب السماوات، وعلى إنعام الله على العبد بتيسير التوبة له، يقول الطاهر بن عاشور: "لمَّا ناط اختيارهم سبيل مرضاة الله بمشيئتهم أعقبه بالتنبيه إلى الإقبال على طلب مرضاة الله للتوسل برضاه إلى تيسير سلوك سبل الخير لهم؛ لأنهم إذا كانوا منه بمحل الرضى والعناية لطف بهم ويسر لهم ما يعسر على النفوس من المصابرة على ترك الشهوات المهلكة[٢]".

(١) التحرير والتنوير ٢٩/٤١١-٤١٢.

(٢) المرجع السابق ٢٩/٤١٢.

المبحث الحادي عشر

الدلالة الصوتية السياقية للمد الفرعي والغنة في سورة المرسلات

يقل ورود المد الفرعي في سورة المرسلات؛ فقد ورد ثماني مرات فقط على مدار خمسين آية، وقد جاء المد مناسبًا لكل سياق ورد فيه، ففي قوله –تعالى–: ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ ۝٩﴾ [المُرۡسَلَات : ٩]؛ يناسب المد الفرعي مدلول ما يحدث للسماء ذات الطول والعرض إذا فرجت،" ومعنى فرجت تفرق ما كان ملتحمًا من هيكلها... فإذا أريد بالسماء الجنس الصادق بجميع السماوات على طريقة العموم الحقيقي، أو الصادق بسماوات مشهورة على طريقة العموم العرفي، وهي السماوات السبع التي يعبر أهل الهيئة عنها بالكواكب السيارة جاز أن يكون فرج السماوات حدوث أخاديد عظيمة في الكواكب زيادة على طمس نورها، وإذا أريد بالسماء فرد معين معهود، وهي ما نشاهده كالقبة الزرقاء في النهار وهي كرة الهواء، فمعنى فرجت: فساد عناصر الجو بحيث تصير فيه طرائق مختلفة الألوان تبدو كأنها شقوق في كرة الهواء، كما في قوله –تعالى–: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ۝١﴾ [الانشِقَاق : ١] ، وكل ذلك مفضٍ إلى انقراض العالم الدنيوي بجميع نظامه ومجموع أجسامه[١]"، وهذا يدل على شمول الفناء، ويناسب المد الفرعي هذه الدلالة ويؤكدها.

ثم يرد المد الفرعي في قوله –تعالى–: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ۝١٤﴾ [المُرۡسَلَات : ١٤]؛ ليناسب دلالة تعظيم يوم الفصل المستفادة من الاستفهام؛ فإن المعنى: " وأي شيء أدراك يا محمد ما يوم الفصل؟ فمعناه التعظيم لذلك اليوم؛ لشدته وهوله[٢]". وقد وصف الله –عز وجل– هذا اليوم بالطول، فمقداره خمسون ألف سنة، كما أخبر الله –عز وجل–، وهو يوم الأهوال والأوجال.

وكذلك يرد المد الفرعي أيضًا في قوله –تعالى–: ﴿أَلَمۡ نَخۡلُقكُّم مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ۝٢٠ فَجَعَلۡنَٰهُ فِي قَرَارٖ مَّكِينٍ ۝٢١﴾ [المُرۡسَلَات : ٢٠ - ٢١]، فيناسب تدفق هذا الماء، وقد قال –تعالى–: ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ۝٦﴾ [الطَّارِق : ٦]، فهذا الماء يتدفق من صلب الرجل وترائبه ويظل متدفقًا حتى يصل إلى القرار المكين،ويفيد التحليل العلمي بأن القرار المكين هو الخصيتان، فقد أكد علماء الطب والأجنة أن "الخصيتين وملحقاتهما من البروستاتا وكيس الصفن وغدة كوبر والغدد التناسلية بها أصبحت قرارًا مكينًا لاستقبال الخلايا التناسلية الأولية بعد هجرتها من موضع نشأتها من بين الصلب والترائب في المرحلة الجنينية

(١) الهداية الى بلوغ النهاية ٧٩٥٨/١٢.

(٢) التحرير والتنوير ٤٢٤/٢٩.

إلى كيس الصفن؛ لكي تستقر وتتمكن من تكوين النطاف عند البلوغ وحتى الشيخوخة، وما تفرزه من سوائل لحفظ النطاف حتى إخراجه، وتكون العضلات التي تحيط بالخصيتين وما بها من صفة الثرموستات الحراري، فترفعان الخصيتين إلى جدار البطن في حالة البرودة وتدليانهما في حالة الحرارة الزائدة؛ حتى لا تموت الحيوانات المنوية في الخصيتين؛ لأن أنسب حرارة لحياة المنويات ما بين ٣٣-٣٥ درجة مئوية؛ مما يجعل الخصيتين قرارًا مكينًا لها، وكذلك إفراز الهرمونات الجنسية في الخصيتين والتي تساعد على تكوين مكونات السائل المنوي وحفظه حتى وقت خروجه عبر الوعاء الناقل(١)".

ويبين الإمام الماتُرِيدي المقصد من تذكيرهم بأصل خلقهم بقوله: "وجائزٌ أن يكون ذكر خلقهم من الماء المهين، وهو الماء المستعاف المستقذر؛ ليدَعُوا تكبرهم وتجبرهم على رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وينقادوا له، ويجيبوا إلى ما دعاهم إليه، وأخبر أنه خلقهم في الظلمات التي لا ينتهي إليها تدبير البشر؛ ليعلموا أنه قادر على ما يشاء، ويعرفوا أنه لا يخفى عليه شيء؛ فيحملهم ذلك على المراقبة، وعلى التيقظ والتبصر (٢)".

ثم يرد المد الفرعي في قوله -تعالى-: ﴿أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾﴾ [المُرْسَلَات : ٢٦]، ويناسب هذا المد كثرة الأحياء والأموات الذين تضمهم الأرض، فإن تنكير اللفظين هنا "هو من تنكير التفخيم، كأنه قيل: تكفت أحياء لا يعدون وأمواتًا لا يحصرون، على أن أحياء الإنس وأمواتهم ليسوا بجميع الأحياء والأموات (٣)". فقد قال بعض المفسرين: "معناه تضم الأحياء التي هي الإنسان والحيوانات والنبات، والأموات التي هي الجمادات من الأرض والماء وغير ذلك(٤)".

(١) ينظر: مقال: القرار المكين، أ. د حنفي محمود مدبولي، عضو الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، متاح على الرابط: *http://iswy.co/e2bv2d*

(٢) تفسير الماتريدي ٣٨٠/١٠

(٣) تفسير الكشاف ٦٧٩/٤

(٤) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهانى (ت ٥٠٢هـ)، تحقيق صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق- بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ. ص ٧١٣- ٧١٤، وينظر: غرائب التفسير وعجائب التأويل للكرماني (ت نحو ٥٠٥هـ)، تحقيق د. شمران سركال يونس العجلي، دار القبلة للثقافة الإسلامية - جدة، مؤسسة علوم القرآن، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ، ١٢٩٣/٢.

وكذلك يرد المد الفرعي في قوله –تعالى–: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾﴾ [المُرْسَلَات : ٢٧]، وهذا المد في لفظ (مَّاءً) يناسب وفرة الماء العذب في الكون، وعظمة الامتنان في توفيره لسقيا الناس والدواب والنبات، يقول الإمام الرازي:"والمعنى هاهنا أنا جعلناه في كثرته وإدامته كالسقيا(١)".

ثم يظهر المد الفرعي في قوله –تعالى– زجرًا للكافرين: ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾﴾ [المُرْسَلَات : ٢٩ - ٣٠] ، وهذه الإطالة الزمنية المكتسبة بالمد الفرعي المتكرر مرتين تناسب معنى الانطلاق إلى مكان بعيد؛ ما يدل على طول المعاناة والمكابدة، ويؤكده قول الله –تعالى– عن النار: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُواْ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الفُرْقَان : ١٢].

وفي الموضع الأخير من مواضع المد الفرعي في سورة المرسلات يتناسب المد الفرعي في (هَنِيٓـًٔا) مع دلالة الاستغراق في النعيم، وذلك في قوله –تعالى–: ﴿كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [المُرْسَلَات : ٤٣]؛ فالهناءة دائمة ومستمرة، والمؤمنون فيها مخلدون.

(١) تفسير الرازي ٢٣٢/٢٠

الخاتمة:

يمكن عرض النتائج التي توصلت إليها الدراسة فيما يلي:

أولا: تمتاز أصوات المد بطبيعة صوتية خاصة أهلتها للقيام بوظيفة إبراز الأغراض الدلالية للنص القرآني، فأصوات المد تتميز بقوة الوضوح السمعي؛ فهي تحتل بين أصوات اللغة العربية المراكز الثلاثة العليا من حيث درجة الإسماع، كما تحتل المراكز العليا في طول الصوت، ويرجع ذلك إلى عدم الاحتكاك في إنتاج هذه الأصوات، كما أنها أصوات مجهورة يهتز معها الوتران الصوتيان، وهي كذلك من الأصوات الرنانة التي تنتج بتشكيل التجويف للوترين الصوتيين الذي يجعل الجهر التلقائي ممكنًا، وأخيرًا فإن أصوات المد أصوات موسيقية منتظمة خالية من الضوضاء ولها قدرة على الاستمرار، وهذا الاستمرار وهذه الخصائص المتفردة بين أصوات العربية تجعلها قادرة على إبراز المعنى الذي تتسلط عليه.

ثانيًا: يتميز صوت الغنة بالوضوح السمعي والرنينية؛ فصوتا الغنة أكثر الأصوات الصامتة وضوحًا في السمع، ويشترك صوتا الغنة مع أصوات المد في خصيصة قوة الوضوح السمعي، من خلال الجهر، وطول الصوت الطبعي، وعدم الاحتكاك، وصوتا الغنة من الأصوات الرنانة، فإن مجرى الهواء معهما هو التجويف الأنفي وحده، وتمثل الغنة إطالة صوتية لصوت النون والميم، وهذه الخصائص الصوتية قد أهلت الغنة للقيام بوظائف دلالية خاصة، كإبراز الأنين والتوجع، والحسرة والندم، كما تؤدي إلى إطالة زمن النطق في كثير من الآيات القرآنية؛ ما يؤدي إلى إيضاح الدلالة.

ثالثًا: التفت بعض الباحثين المعاصرين في دراساتهم وبحوثهم اللغوية والأدبية إلى الوظيفة الدلالية التي تقوم بها أصوات المد في القرآن الكريم، خاصة عندما يزداد هذا المد عن المد الطبيعي المعتاد في لغة العرب، وذلك في حالة المد الفرعي، ولكنهم اقتصروا على أمثلة محدودة جدًّا وإشارات عابرة، ولم يفردوا دراسات مستقلة للبحث في دلالة أصوات المد الفرعي أو الغنة.

رابعًا: السياقات التي يظهر فيها المد الفرعي في **سورة الملك** هي السياقات المتعلقة بالكافرين تخويفًا وتهديدًا ووعيدًا، وتقريعًا وتوبيخًا، وأخذًا بالعذاب، كما اتضح من خلال دراسة مواضع شيوع الغنة في هذه السورة الكريمة أنها تتعاضد مع المد الفرعي في إبراز حالة الأنين والتوجع الملازمة لأهل النار في العذاب.

ويختفي المد الفرعي في هذه السورة الكريمة في سياقات الحديث عن مظاهر رحمة الله ﷻ ، وقدرته وفضله العظيم، وعلمه الواسع، ونعيم أهل الجنة، وقدرته على إنفاذ أمره، وتوليه إرسال الرزق، والحديث عن نعمة الهداية بالإيمان والتوكل على الله.

وبهذا يظهر جليًّا أن ظهور المد الفرعي واختفاءه يتوزعان على محورين في هذه السورة الكريمة، وأن طول الزمن الصوتي لا يأتي خبط عشواء في القرآن الكريم، وإنما هو مرتبط تمام الارتباط بالسياقات الواردة فيه والمواقف التي يجليها الكتاب العزيز للمتلقي؛ ممَّا يعد إعجازًا لغويًّا صوتيًّا في القرآن الكريم.

خامسًا: السياقات التي يظهر فيها المد الفرعي في **سورة القلم** هي السياقات المتعلقة باتهام الكافرين للنبي الكريم ﷺ بالجنون، ودفاع الحق ﷻ عن نبيه ورسوله، وسياق ذم الكافرين بصفات ذميمة؛ إذ تم التأكيد على بشاعة صفة النميمة، خاصة عن طريق المد الفرعي، وسياق ابتلاء أصحاب الجنة وإظهار الحسرة والندم والتضرع إلى الله –عز وجل– أن يبدلهم خيرًا منها، وهنا يتعاضد المد الفرعي والغنة في إظهار هذه الأنين والتوجع المصاحب للشعور باليأس والحسرة والندم، كما ورد المد الفرعي في سياق توبيخ الكافرين على الشرك، وكذلك يظهر المد الفرعي في سياق رحمة الله بيونس –عليه السلام– بتداركه بنعمة الإنقاذ من بطن الحوت.

سادسًا: السياقات التي يظهر فيها المد الفرعي في **سورة الحاقة** هي السياقات المتعلقة بالحديث عن عظم يوم القيامة؛ إذ بالمد الفرعي تم التأكيد على معنى لفظ (الحاقة) من أنه يوم إحقاق الحق باستحقاق الكافرين المكذبين العذاب، وسياق الامتنان على البشر بنعمة النجاة من الطوفان العارم، كما ورد المد الفرعي في سياق انشقاق السماء وتنزل الملائكة بوصفه مظهرًا من مظاهر عظمة يوم القيامة، وكذلك يظهر المد الفرعي في سياق مداومة أهل النار على الطعام من غسلين، وأخيرًا يظهر المد الفرعي في سياق التأكيد على صدق ما أرسل به النبي الكريم ﷺ، وقد ظهر تعاضد شيوع الغنة مع المد الفرعي في سورة الحاقة في السياق الدال على عظمة يوم القيامة وفرحة المؤمنين بحسن الثواب وحسرة الكافرين وأنينهم وتوجعهم من شدة العذاب.

سابعًا: السياقات التي يظهر فيها المد الفرعي في **سورة المعارج** هي السياقات المتعلقة بالحديث عن تهكم الكافرين بالعذاب واستعجالهم به؛ إذ تم التأكيد على معنى الإلحاح من خلال المد الفرعي في اسم الفاعل (سائل)، وسياق عروج الملائكة إلى الله ﷻ، كما ورد المد الفرعي في سياق تحول السماء يوم القيامة لينًا ولونًا، كما ورد المد الفرعي في سياق مدح المؤمنين بالمداومة على أعمال البر، وكذلك في

سياق استهزاء الكافرين بالنبي والمؤمنين وإنكارهم البعث، والاحتجاج عليهم بالنشأة الأولى، والمقدرة على تبديلهم والإتيان بغيرهم يطيعون الله ورسوله ﷺ.

ثامنًا: يظهر المد الفرعي تعضده الغنة في **سورة نوح** في سياقات ثلاثة، وهي: سياق التكليف بالدعوة، فتؤكد الإطالة الصوتية طول مدة الدعوة، وسياق الحث على اتباع الهدى، فتؤكد الإطالة الصوتية حرص سيدنا نوح –عليه السلام– على هداية قومه، وسياق تمادي قوم نوح الإعراض والإنكار؛ مما يوحي بطول العماية وعمق الغواية.

تاسعًا: يمثل شيوع المد الفرعي والغنة في **سورة الجن** من أول السورة حتى آخرها شيوعًا ظاهرًا نمطًا فريدًا لهذه الظاهرة، فالسورة على قصرها (٢٨ آية) يتكرر فيها المد الفرعي (٢٠ مرة)، كما تتكرر الغنة (٦٩ مرة)، وهذا يعني أن الإطالة الصوتية تمثل ملمحًا واضحًا في هذه السورة التي تتحدث عن إخبار غيبي بحضور الجن لاستماع القرآن الكريم، وتؤكد الإطالة الصوتية بفعل هاتين الظاهرتين الصوتيتين تعظيم الجن للقرآن الكريم وإيمانهم الراسخ وتنزيه أنفسهم عن الشرك، وهذا في المحور الأول من السورة، أمَّا في المحور الثاني من السورة، وهو ما أوحي إلى النبي من الدعوة إلى التوحيد، فتؤكد الإطالة الصوتية معنى إفراد الله –عز وجل– بالعبادة، وعلم الساعة، وعلم الغيب.

عاشرًا: يرد المد الفرعي في **سورة المزمل** في سياق التلطف بوصف النبي الكريم ﷺ بصفة تزمله، كما يظهر في سياق التخفيف بالتخيير في قيام الليل، فيوحي بطول مدة قيام نصف الليل، وفي سياق التعظيم لله –عز وجل– وإفراده بالألوهية، وفي سياق التهديد والوعيد للكافرين المكذبين المعاندين بعذاب الآخرة، وفي سياق تهديد الكافرين بما حل بقوم فرعون، وسياق ذكر يوم القيامة ووصف أهواله.

حادي عشر: يقل ظهور المد الفرعي في **سورة القيامة**، فلا يظهر سوى خمس مرات على مدار السورة بأكملها (وقوامها ٥٠ آية)، وفي سياقات محددة، ففي مطلع السورة الكريمة يتكرر المد الفرعي ثلاث مرات؛ للمبالغة في القسم، والمقسم عليه ومنه إثبات قدرة الخالق –عز وجل– على البعث، وجمع عظام كل إنسان وإعادته إلى ما كان عليه، وإحياء العظام بعد أن صارت رميمًا، بل أكبر من ذلك أن يسوي بقدرته البنان، كما يظهر المد الفرعي في سياق توبيخ الكافرين على استغراقهم في الكبر، وفي سياق بيان تمام قدرة الله –عز وجل– على إحياء الموتى.

ثاني عشر: يظهر المد الفرعي في بداية **سورة الإنسان** في سياق التهديد والوعيد بالعذاب الأليم للكافرين، كما يظهر في سياق الحديث عن إحسان الأبرار المؤمنين، وعدم انتظارهم المثوبة من الذين

بذلوا في حقهم الإحسان أو من غيرهم، فهم لا يطمعون إلا في جزاء الله وعطائه الواسع، وكذلك يظهر المد الفرعي في سياق سعة جزاء المؤمنين في الآخرة، وفي سياق ذم الكافرين ودحض شبهتهم في عدم البعث، وفي سياق التحضيض والحث على التوبة والسير في طريق الهداية.

ثالث عشر: يقل ورود المد الفرعي في سورة المرسلات، فقد ورد ٨ مرات فقط على مدار ٥٠ آية، وقد جاءت الإطالة الزمنية المكتسبة بالمد الفرعي مناسبة لكل سياق وردت فيه، فقد وردت في سياق الحديث عن أحداث يوم القيامة، وفي سياق خلق الإنسان من ماء متدفق، وفي سياق الحديث عن كثرة الأحياء والأموات الذين تكفتهم الأرض، وفي سياق عظمة الامتنان في توفير الماء لسقيا الناس والدواب والنبات، كما يتناسب المد الفرعي مع معنى الانطلاق إلى مكان بعيد؛ ما يدل على طول المعاناة والمكابدة، وفي الموضع الأخير من مواضع المد في سورة المرسلات يتناسب المد الفرعي مع دلالة الاستغراق في النعيم؛ فهناءة المؤمنين دائمة ومستمرة، والمؤمنون فيها مخلدون.

رابع عشر: أثبتت الدراسة من خلال استعراض السياقات التي ورد فيها المد الفرعي والغنة تمايز هذه السياقات عن السياقات التي يغيبان عنها، ففي سياقات ورودهما في جزء تبارك يتم التركيز على دلالات معينة، ويمكن تصنيف هذه الدلالات وعرض ما يندرج تحتها من دلالات فرعية على النحو التالي:

١- خطاب الكافرين، ويندرج تحته:

- ❖ التخويف والتهديد والوعيد بالعذاب.
- ❖ تقريع الكافرين وتوبيخهم وذمهم.
- ❖ وصف النار وعذاب أهل النار.
- ❖ المباغتة بالعذاب.
- ❖ الدفاع عن رسول الله ضد تهم الكافرين.
- ❖ إطعام أهل النار من غسلين.
- ❖ استعجال العذاب والإلحاح به.
- ❖ إبطال مطامع الكافرين.
- ❖ التمادي في الإعراض
- ❖ دحض شبهتهم في عدم البعث والاحتجاج بالنشأة الأولى.

٢- الحديث عن أهوال يوم القيامة، ويندرج تحته:

- ❖ انشقاق السماء.
- ❖ تحول السماء لونًا ولينًا.
- ❖ تنزل الملائكة.

٣- الحديث عن الأحداث الجسام، ويندرج تحته:

- ❖ الحديث عن الطوفان

٤- سياق الابتلاء، ويندرج تحته:

- ❖ شدة الابتلاء
- ❖ إظهار الحسرة والندم.
- ❖ التضرع إلى الله بصرف الابتلاء.
- ❖ سوق الرحمة لسيدنا يونس بعد الابتلاء.

٥- سياق التأكيد على صدق الرسالة والنبوة

- ❖ تعظيم الجن لأمر القرآن والإيمان.
- ❖ توحيد الله -عز وجل- وإفراده بالعبادة.
- ❖ التلطف بنداء النبي بصفة التزمل والامتثال لأمر الله.

٦- المدح بصفة المداومة والاستمرار على أعمال البر.

٧- مناسبة الإطالة الزمنية بالمد لطول الحدث في الواقع

- حركة صف الطيور (بسط الأجنحة).
- دعوة سيدنا نوح لقومه وتماديهم في الضلال.
- طول قيام نصف الليل.

٨- تأكيد عظمة الله -عز وجل-، ويندرج تحته:

- ❖ توفير الماء لسقيا الناس والدواب والنبات.
- ❖ تسخير الأرض تكفت الأحياء والأموات.

(قائمة المراجع والمصادر)

القرآن الكريم

أولا: الكتب العربية

١. الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الخامسة، ١٩٧٥م.

٢. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثامنة، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٥م.

٣. البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، طبعة جديدة بعناية صدقي محمد جميل وآخرين، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت– لبنان، د. ط، ١٤٢٠هـ– ٢٠٠٠م.

٤.التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، للطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤هـ.

٥. تفسير الرازي (مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير)، للفخر الرازي (ت ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ.

٦.تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، لابن جرير الطبري (٣١٠هـ)، تحقيق د عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر، د. عبد السند حسن يمامة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان – القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

٧. تفسير الماتُرِيدي (تأويلات أهل السنة)، لأبي منصور الماتُرِيدي (ت ٣٣٣هـ)، تحقيق د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

٨.التمهيد في علم التجويد، لابن الجزري (ت ٨٣٣هـ)، تحقيق الدكتور على حسين البواب، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.

٩. التيسير في التفسير، لأبي حفص النسفي (ت ٥٣٧هـ)، تحقيق ماهر أديب حبوش، وآخرون، دار اللباب للدراسات وتحقيق التراث، إسطنبول – تركيا، الطبعة الأولى، ١٤٤٠هـ – ٢٠١٩م.

١٠. جماليات المفردة القرآنية، أحمد ياسوف، دار المكتبي – دمشق، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.

١١. الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ)، تحقيق محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الرابعة، ١٩٩٩م.

١٢. دراسات أدبية لنصوص من القرآن، محمد المبارك، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت–لبنان، الطبعة الخامسة، ١٤١٩هـ– ١٩٩٨م.

١٣. دراسة إحصائية لجذور معجم الصحاح باستخدام الكمبيوتر، د. علي حلمي موسى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٨م.

١٤. دراسة الصوت اللغوي، د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ١٤١٨هـ–١٩٩٧م.

١٥. دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثالثة، ١٩٧٦م.

١٦. الدلالة الصوتية: دراسة لغوية لدلالة الصوت ودوره في التواصل، د. كريم زكي حسام الدين، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ– ١٩٩٢م

١٧. الدلالة الصوتية في اللغة العربية، د. صالح سليم عبد القادر الفاخري، المكتب العربي الحديث، الإسكندرية، د.ط، د.ت.

١٨. روح البيان، لإسماعيل حقي (ت ١١٢٧هـ)، دار الفكر – بيروت، د.ت، د. ط.

١٩. سر صناعة الإعراب، لابن جني (ت ٣٩٢هـ)، دار الكتب العلمية بيروت–لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ– ٢٠٠٠م.

٢٠. شرح الشاطبية المسمى إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع، لأبي شامة المقدسي (ت ٦٦٥هـ)، تحقيق وتقديم وضبط إبراهيم عطوة عوض، دار الكتب العلمية، د. ط.

٢١. صحيح البخاري، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، تحقيق د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، دار اليمامة – دمشق، الطبعة الخامسة، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م.

٢٢. الصوت اللغوي في القرآن، د. محمد حسين علي الصغير، دار المؤرخ العربي، بيروت–لبنان، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ–٢٠٠٠م.

٢٣. علم الأصوات، كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٠م.

٢٤. علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، محمود السعران، دار الفكر العربي، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٩٧م.

٢٥. العميد في علم التجويد، محمود بن علي بسة المصري (ت بعد ١٣٦٧هـ)، تحقيق محمد الصادق قمحاوي، دار العقيدة، الإسكندرية، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ– ٢٠٠٤م.

٢٦. غاية المريد في علم التجويد، تأليف عطية قابل نصر، القاهرة، الطبعة الرابعة ، ١٤١٤هـ– ١٩٩٤م.

٢٧. غرائب التفسير وعجائب التأويل، للكرماني (ت نحو ٥٠٥هـ)، تحقيق د. شمران سركال يونس العجلي، دار القبلة للثقافة الإسلامية – جدة، مؤسسة علوم القرآن، بيروت– لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

٢٨. غريب القرآن في شعر العرب، سؤالات نافع بن الأزرق إلى عبد الله بن عباس –رضي الله عنهما–، تحقيق محمد عبد الرحيم، وأحمد نصر الله، مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ– ١٩٩٣م.

٢٩. فقه اللغة وخصائص العربية، دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية وعرض لمنهج العربية الأصيل في التجديد والتوليد، د. محمد المبارك، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٩٦٤م.

٣٠. في الأصوات اللغوية: دراسة في أصوات المد العربية، د. غالب فاضل المطلبي، منشورة وزارة الثقافة والإعلام سلسلة دراسات (٣٦٤)، ١٩٨٤م.

٣١. قواعد التجويد على رواية حفص عن عاصم بن أبي النجود، عبد العزيز بن عبد الفتاح القارئ، مكتبة الدار بالمدينة المنورة، الطبعة الخامسة، ١٤١٠هـ.

٣٢. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، ضبطه وصححه ورتبه مصطفى حسين أحمد، دار الريان للتراث بالقاهرة – دار الكتاب العربي ببيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

٣٣. مسند الإمام أحمد بن حنبل (٢٤١هـ) ، تحقيق شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد – وآخرون، إشراف د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١م.

٣٤. معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (ت٣١١هـ)، شرح وتحقيق عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب– بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م.

٣٥. معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

٣٦. المفارقة القرآنية دراسة في بنية الدلالة ، للدكتور محمد العبد ، مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ–٢٠٠٦م.

٣٧. المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، تحقيق صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق– بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

٣٨. النبأ العظيم، نظرات جديدة في القرآن الكريم، محمد بن عبد الله دراز (ت ١٣٧٧هـ)، اعتنى به أحمد مصطفى فضلية، قدم له أ. د. عبد العظيم إبراهيم المطعني، دار القلم للنشر والتوزيع، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

٣٩. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي (ت ٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت.

٤٠. هداية القاري إلى تجويد كلام الباري، عبد الفتاح السيد عجمي المرصفي ، مكتبة طيبة، المدينة المنورة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٥م.

٤١. الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، لمكي بن أبي طالب (ت ٤٣٧هـ)، مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.

ثانيًا: البحوث والمقالات

٤٢. (أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات)، د. منير مصطفى البشعان، المؤتمر العالمي الثامن للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، متاح على: https://www.islamland.com

٤٣. الإيقاع الصوتي في القرآن الكريم: سورتا الليل والفجر نموذجًا، د. فاتن محمد محمد علي، مجلة كلية الآداب بقنا– جامعة جنوب الوادي، المجلد ٣٣، العدد ٦٣، أبريل ٢٠٢٤م.

٤٤. البعد التصويري والإيحائي للإيقاع الصوتي: النص القرآني أنموذجًا، د. عازة عبد العزيز محمد عبد السند، المجلة العلمية بكلية اللغة العربية بأسيوط– جامعة الأزهر، العدد الخامس والثلاثون، الجزء الثاني، ٢٠١٦م.

٤٥. البنية الإيقاعية وجماليتها في القرآن، محمد حرير، مجلة التراث العربي، مجلد ٢٥ العددان ٩٩ ،١٠٠، عام ٢٠٠٥م.

٤٦. تحولات التركيب النحوي لتحقيق المبالغة الدلالية في القرآن الكريم (دراسة وصفية تحليلية)، محمد كمال محمد جاد، المجلة العلمية لكلية اللغة العربية بأسيوط، جامعة الأزهر، العدد ٤٣، الإصدار الرابع، نوفمبر، ٢٠٢٤م.

٤٧. عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم، د. محمد السيد راضي جبريل، ندوة: عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن الكريم وعلومه، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٢١هـ.

٤٨. مقال: القرار المكين ، أ. د حنفي محمود مدبولي، عضو الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، متاح على الرابط: *http://iswy.co/e2bv2d*

٤٩. مقال غير معنون منشور على شبكة التواصل الاجتماعي فيس بوك : صفحة (الإعجاز العلمي دكتور محمد غلوش).

https://www.facebook.com/permalink.php?story_fbid=٤٩٦٦٢٧٧١٣٦٧٧١٨٩٣&id=١٣٢٩٩٧٤١٩٣٧٣٥٥٥٧&locale=hi_IN

٥٠. النغم الصوتي والإيقاع الموسيقي في سورة العاديات، أ. د. حازم ذنون إسماعيل، د. ياسين محمد فيصل، مجلة كلية الإمام الأعظم الجامعة، العدد السابع والعشرون، الجزء الثاني، ٢٠١٩م

ثالثًا: الرسائل العلمية

٥١. أصوات الرنين في العربية، دراسة نطقية أكواستيكية، إلهام عبد الله سليمان أبو فريحة، عمادة الدراسات العليا، الأردن، ٢٠٠٦م.

٥٢. جماليات الإيقاع الصوتي في القرآن الكريم، محمد الصغير ميسة، ماجستير، قسم الآداب واللغة العربية، كلية الآداب واللغة العربية، جامعة محمد خيضر –بسكرة–، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، ٢٠١٢م.

٥٣. الخصائص النطقية والفيزيائية للصوامت الرنينية في العربية، محمود فتح الله أحمد الصغير، كلية التربية، جامعة اليرموك، الأردن، ٢٠٠٧م.

The phonetic meaning of the secondary prolongation for Long Vowels and nasal sounds (Alghonna) in light of the Quranic context: Part (Tabarak) as a model (Descriptive Analytical Study)

Prepared by
Dr. Mohamed Kamal Mohamed Gad
Teacher of Syntax, Morphology in the Arabic Language Department
Faculty of Arts - Menoufia University

Abstract

The idea of this research is that the prolonged recitation of certain parts of the Quranic verses due to the secondary elongation and the prevalence of the nasal sound helps clarify the Quranic meanings in their various contexts. It also aids in depicting, embodying, and representing the meaning. This research aims to elucidate this phonetic significance by applying it to the noble surahs of the twenty-ninth part of the Holy Quran (Part Tabarak). This is done by examining the Quranic verses in which this phonetic phenomenon occurs to understand their meanings according to their internal linguistic contexts and external situational contexts, as well as the general meaning around which the noble verses revolve.

The research demonstrated the distinction of the contexts in which the sub-connotations were mentioned and in which the ghana was abundant from other contexts, and these contexts and connotations were classified into main frameworks under which a group of sub-connotations fall, namely: the context of the discourse of the unbelievers, The context of talking about the horrors of the Day of Resurrection, the context of talking about grave events, the context of affliction, the context of emphasizing the truthfulness of the message and prophecy, the context of praise in terms of perseverance and continuity in righteous deeds, the occasion of the lengthening of time for the length of the event in reality, the context of emphasizing the greatness of the Day of Resurrection, and the context of God Almighty mentions its manifestations.

Keywords: phonetic meaning, sound and meaning, contextual meaning, nasalization and secondary prolongation, phonetic miracle of the Quran